مجلة
بينات
فصلية
تصدر عن
رابطة علماء المسلمين
رابطة علماء المسلمين
العدد (٧) ::: جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ ::: يناير ٢٠٢١م

الأولويات في ساحة الأمة

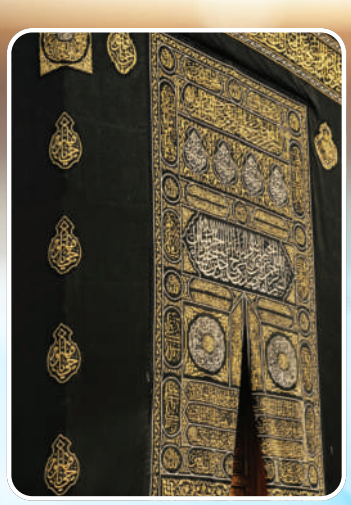

- الشيخ داعي الإسلام الشهال.. رجل فقدناه
- الهالوين في حضوموت!
- لمحات وتبصرات في سورة الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

بينات

رؤيـــة المجلـــة:

تشـكيل وعي المسـلم في القضايا المعاصرة.

رسالـــة المجلـــة:

مجلـة تحقـق تأصيـل العلـوم الشرعيـة في المجـالات كافـة، وإعطـاء الرؤيـة الشرعيـة حول أوضـاع المسـلمين.

عـــن المجلـــة:

- هـي مجلـة دورية ربعيـة تصدر عـن (رابطـة علـماء المسـلمين)، وتهتـم بالقضايـا الشرعيـة والفكريـة والعلـوم الإنسـانية، ورصـد وتحليـل واسـتشراف مسـتقبل المسـلمين حـول العالم.

- مجلـة عالميـة تنتهـج منهج أهل السـنة والجماعة بعيداً عـن الغلو والتفريط.

- تخاطـب الدعـاة والعلـماء والمثقفـين والمفكريـن المهتمـين بنهضـة الأمـة وريادتهـا، وتحـث الهمـم وتحـرك القلـوب وتبعـث الطاقـات لمصلحـة الأمـة، وتحـرص عـلى بنـاء الأمـة عـلى العقيدة السـليمة والمنهج القويم ليفقـه واقعـه ويبنـي مواقفه على تأصيـل شرعـي قويـم.

bayyinatre@gmail.com

هيئـة التحرير

المشرف العـــام
الشيخ الدكتور محمد العبده

المستشـارون
د. حسن عباس
أ.د. حكمت الحريري
د. عادل الحمد
د. مراد القدسي
أ.د. محمد أمحزون
د. هشام برغش

سكرتير التحريـــر
م. محمد حسين

تصدر عن
رابطة علماء المسلمين

بينات

في هـــذا العـــدد

الشيخ الشهال.. رجل فقدناه

موضوعات العدد

الافتتاحية

■ حديث في السياسة
المشرف العام ٤

قضايا فكرية

■ السنن في القرآن الكريم
أ. د. محمد أمحزون ٦

■ الأولويات في ساحة الأمة
د. محمد يسري إبراهيم ١٠

ملفات شرعية

■ لمحات وتبصرات في تفسير سورة الفتح
أ. د. حكمت الحريري ٢١

■ وقفات شرعية مع الوباء والبلاء
أ. د. كامل صبحي صلاح ٣٠

■ الهالوين في حضرموت
عبد الله بن فيصل الأهدل ٣٧

■ أسس التفكير في القرآن الكريم
د. محمد العبدة ٤٣

مكانة العلماء

■ الشيخ الشهال ... رجل فقدناه
فـــــواز جنيـــد ٤٨

رابطة علماء المسلمين

الرؤية:

تكوين مرجعية عالمية راشدة لإحياء دور العلماء في نهضة الأمة المسلمة.

الرسالة:

تجمع علمي منظم من علماء المسلمين يساهم في توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم؛ من خلال جمع طاقات العلماء، وتقديم حلول شرعية للقضايا المعاصرة وفق منهج أهل السنة والجماعة.

الأهداف:

(١) المساهمة في توحيد كلمة علماء الأمة وإبراز مكانتهم بين المسلمين.

(٢) استنباط الأحكام الشرعية للحوادث والنوازل وللقضايا المعاصرة، ورد الشبهات حول الإسلام ونبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفق منهج علمي وبيان ذلك للمسلمين.

(٣) كشف المخططات المعادية للإسلام والتصدي لها بشتى الوسائل المشروعة.

(٤) تحذير الأمة وحمايتها من المناهج والعقائد المنحرفة والتيارات الهدامة وبيان موقف الإسلام منها.

(٥) التواصل مع الهيئات الرسمية والمؤسسات العلمية والدعوية والإعلامية والخيرية فيما يحقق نهضة الأمة.

alimerdernegi@gmail.com

حديث في السياسة

المشرف العام

لا تلقى كلمة (سياسة) كثيرًا من الترحاب في مجتمعاتنا، فهي في نظرهم مرادفة للختل والكذب والنفاق الاجتماعي. والسياسي المُحنَّك هو الذي يتقن فن التآمر على الخصوم، أو من الذين يخدعون الجماهير بوعودهم الخلابة، وبعض الشعوب تفضل الوعد القريب ولو كان كاذبًا على الوعد البعيد إذا كان صادقًا.

هذه النظرة للسياسة تأتي من إفرازات الواقع ومما يظهر على السطح بادي الرأي، لأن أصحابها لم يدركوا معاني السياسة على حقيقتها، وهي كما يقول شيخ الحنابلة ابن عقيل: «ما كان فعلًا يكون معه الخلق أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد». والسياسة هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))، فكل مسلم هنا هو (كائن سياسي) وكل حركة إسلامية صحيحة هي حركة سياسية. وقد جاء في القرآن الكريم التوجيهات الكاملة لتأصيل هذا العلم، فتحدث عن التمكين في الأرض للمستضعفين، ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾[الأنفال: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ

ٱلۡهَوَىٰ﴾ [ص: ٢٦]. وأدان القرآن الكريم الاستبداد السياسي، وضرب مثلًا لذلك فرعون والملأ الذين من حوله، وكذلك قومه الذين أطاعوه، أي عندهم القابلية للاستبداد، وأوضح القرآن الكريم حقيقة أعداء المسلمين وتربصهم بهم ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾ [البقرة: ١٢٠] فهذا كله في القرآن الكريم بناء للوعي، وتشكيل لعقل المسلم في معرفة الخير والشر.

لم يُعطَ هذا العلم (السياسة) العناية الكافية، والذين يمارسونه لا يبنونه على دراسات ومعلومات لمعرفة واقع المسلمين وواقع السياسات الدولية وأين تقع مصلحة المسلمين.

وبعض الذين يدَّعون العلم بالسياسة إنما يمارسونها (كهواة) وليس كمحترفين، يمارسونها على أنها اللين والتنازلات التي لا تسر الصديق ولا تنكأ العدو، أو الدخول في تحالفات غير ناجحة، ضررها أكثر من نفعها.

إن الأجواء التي يعيشها الناس في بعض البلدان هي أجواء الخطب الرنانة والضجيج الإعلامي والفصل بين السياسة والأخلاق، وتحولت السياسة إلى انتهازية يسميها المفكر الجزائري مالك بن نبي (بوليتيكا) تمييزًا لها عن السياسة بمعناها العلمي القائم على الدراسات والخبرة.

بعض الذين يدَّعون العلم بالسياسة إنما يمارسونها (كهواة) وليس كمحترفين، يمارسونها على أنها اللين والتنازلات التي لا تسر الصديق ولا تنكأ العدو، أو الدخول في تحالفات غير ناجحة، ضررها أكثر من نفعها..

كان علماء أهل السنة في العصور السابقة يدركون مدى الأخطار الخارجية التي تتعرض لها الدول الإسلامية، فكانت الأولوية عندهم هي وحدة الأمة وتطبيق الشريعة ودفع العدو، ولكن اليوم تمزقت الوحدة، وحُصر تطبيق الشريعة في (الأحوال الشخصية) وحتى هذه يتحايلون عليها لإلغائها.

والفتنة اليوم هي الهجوم الباطني على أهل السنة، وهي العلمانية والعولمة التي لم تدع بيتًا إلا دخلته، فالواجب على العلماء الاشتغال بالشأن العام، واعتبار هذا من أوجب الواجبات، حرصًا على الدين، وحرصًا على تماسك الأمة ووحدتها.

السنن في القرآن الكريم

أ. د. محمد أمحزون

السنة هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم ومواقفهم من شرع الله تعالى وأنبيائه، وما يترتب على ذلك في الدنيا والآخرة(١).

وهي مجموعة القوانين التي سنَّها الله جَلَّوَعَلَا لهذا الوجود، وأخضع لها مخلوقاته جميعًا على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها(٢).

وهناك من ميَّز بين السنن الكونية والسنن الاجتماعية، وعرف كلًّا منها على حدة؛ حيث جعل السنن الكونية هي: نواميس الله تعالى وقوانينه التي تضبط حركة المخلوقات من الأجرام والمركبات والعناصر وغيرها في تكامل وانسجام، من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة، يؤدي كل منها ما خلق من أجله، دون أدنى خلل أو تخلف: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝٢﴾[الفرقان: ٢](٣).

وهناك من جعل سنن الله تعالى في المجتمعات هي: وقائع الله تعالى التي جرت عادته بإنزالها بعباده على أعمالهم الاختيارية التي فعلوها، ثوابًا لمن وافقوا منهج الله عَزَّوَجَلَّ، وعقابًا لمن كفروا أو شاقوا الله تعالى ورسله ودعاته، أو ابتلاءً للمؤمنين، أو إملاءً واستدراجًا للطغاة، وكذا ما وضع الله جل ذكره لعباده من شرائع(٤).

(١) عبد الكريم زيدان: السنن الإلهية في الأمم والجماعات، ص ١٣.
(٢) أحمد كنعان: أزمتنا الحضارية في ضوء سنن الله في الخلق، ص ٥٢.
(٣) صديق عبد العزيز أبو الحسن: مفهوم السنن الاجتماعية في القرآن الكريم، ص ٥٧.
(٤) المرجع السابق نفسه، ص ٥٧.

السنة في القرآن الكريم نجدها جاءت بالمعاني الآتية: طريقة متبعة، عادة دائمة، حكم وجزاء لا يتغير ولا يتخلف، تشريع قواعد سلوك يجب أن تطبق، مقدمات تقع ابتلاء للمؤمنين أو بلاء واستدراجًا للمعاندين، نتائج تقع حتمًا ثوابًا أو عقابًا على أعمال العباد..

ولحصر معاني السنة في القرآن الكريم نجدها جاءت بالمعاني الآتية: طريقة متبعة، عادة دائمة، حكم وجزاء لا يتغير ولا يتخلف، تشريع قواعد سلوك يجب أن تطبق، مقدمات تقع ابتلاء للمؤمنين أو بلاء واستدراجًا للمعاندين، نتائج تقع حتمًا ثوابًا أو عقابًا على أعمال العباد[١].

قال رشيد رضا: «إن ثلاثة أرباع القرآن تقريبًا قصص وتوجيه للأنظار إلى الاعتبار بأحوال الأمم في كفرهم وإيمانهم وشقاوتهم وسعادتهم، ولا شيء يهدي الإنسان كالمَثُلات والوقائع؛ فإذا امتثلنا الأمر والإرشاد ونظرنا إلى أحوال الأمم السالفة وأسباب علمهم وجهلهم وقوتهم وضعفهم وعزهم وذلهم وغير ذلك مما يعرض للأمم، كان لهذا النظر أثر في نفوسنا يحملنا على حسن الأسوة والاقتداء بأخبار تلك الأمم فيما كان سبب السعادة والتمُّكن في الأرض، واجتناب ما كان سبب الشقاوة أو الهلاك والدمار»[٢].

وعلى هذه الشاكلة، فالقرآن الكريم جاء بمعطياته هذه من أجل أن يحرك الإنسان صوب الأهداف التي رسمها الإسلام له، ويبعده في الوقت ذاته فردًا أو جماعة عن المزالق والمنعرجات التي أودت بمصائر مئات من الأمم والجماعات والشعوب. كما يقدم أصول منهج متكامل في التعامل مع التاريخ البشري والواقع الإنساني، والانتقال بهذا التعامل من مرحلة العرض والتجميع فحسب، إلى محاولة استخلاص القوانين (السنن) التي تحكم الظواهر الاجتماعية - التاريخية[٣].

ومن هاهنا ينبغي الجزم ابتداء بأن القرآن الكريم هو الكتاب المبارك الذي أُنزل ليكون حياة ودليل أمة، بل أمم وشعوب، لا يمكن أن يعرض لهذه السنن كيفما اتفق دون قصد أو حكمة. وكيف يمكن أن يكون هذا، وهذه السنن هي مظهر من مظاهر حكمته وهدايته ورحمته تعالى، والقرآن الكريم هو كلامه وأمره إلى خلقه، وكلامه تبارك وتعالى هو وعي الحكمة والصواب. ولهذا نجزم بأنه

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٥٦.

(٢) رشيد رضا: تفسير المنار، ١/ ٦٧.

(٣) عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص ٨.

سبحانه كما خلق هذه السنن وقدرها بعلم وحكمة، فإنه جل ذكره سيعلمها لعباده ويدلهم عليها بعلم وحكمة، وعلى البشر أنفسهم أن يتعرفوا على هذه السنن، بتدبر كلامه تعالى وتأمل آيات كتابه الناطق: «القرآن»، وآيات كتابه الصامت: «الطبيعة»[1].

ينبغي الجزم ابتداء بأن القرآن الكريم هو الكتاب المبارك الذي أُنزل ليكون حياة ودليل أمة، بل أمم وشعوب، لا يمكن أن يعرض لهذه السنن كيفما اتفق دون قصد أو حكمة..

على أن الدارس للقرآن الكريم دراسة متأنية فاحصة يستخلص منه السنن التي تفسر لنا حركة سير المجتمعات البشرية؛ رقيها ونزولها، تقدمها أو تخلفها، قوتها أو اضمحلالها.

فالقرآن الكريم عندما يذكر الوقائع التي مرت بالأمم السابقة، إنما ليخلص بعد ذلك إلى القانون العام للأحداث التي عاشها الناس في الماضي أو يعيشونها في حاضرهم أو سيعيشونها في مستقبلهم، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ

سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران: ١٣٧].

وهذه القضية أو الظاهرة لا بد من لفت النظر إليها، وهي أن الدعوة إلى السير في الأرض التي حث عليها القرآن الكريم، إنما هي في الحقيقة للاستدلال والتأكد من فاعلية السنن التي قررها الكتاب العزيز وعدم تخلفها من ناحية، والامتداد والاكتشاف لسنن أخرى بالاستقراء والملاحظة وديمومة النظر العقلي من ناحية ثانية. وإلا فما قيمة القصص القرآني الخالد إذا لم ينشئ عقلًا مدركًا للسنن التي تحكم المجتمع الإنساني، وتتحكم بقيام وسقوط الحضارات،

(١) حسن الحميد: سنن الله في الأمم، ص ١٢٢ (بتصرف).

وتعتبر معرفتها شرطًا رئيسًا للتبصر بالعواقب، واستقراء حركة النهوض والسقوط والتداول الحضاري، وتؤهل معرفتها إلى تفسير ما في الكون من جماد ونبات وحيوان للتمكن من الإنجاز والإبداع الحضاري[١].

فالقرآن الكريم عندما يذكر الوقائع التي مرت بالأمم السابقة، إنما ليخلص بعد ذلك إلى القانون العام للأحداث التي عاشها الناس في الماضي أو يعيشونها في حاضرهم أو سيعيشونها في مستقبلهم..

ففي القرآن الكريم كثير من الآيات تحض المؤمنين على السير في الأرض للاعتبار والتفكر في آيات الله تعالى المبثوثة في الكون، حتى يلتفت العقل المسلم إلى النظام البديع الذي يحكم الأشياء ويوجه الأحداث، فيستنبط من ذلك السنن التي تتحكم في حياة الأحياء والمجتمعات وتطورها، ويعمل من ثم على تسخيرها في عمارة الأرض وبناء الحضارة الإنسانية المنشودة[٢].

كما خصص القرآن الكريم حيزًا مهمًّا لعرض قصص الأمم والحضارات الغابرة، ليلفت انتباه المسلمين إلى ما آلت إليه مصائر تلك الأمم حين سلكت سبيلًا مخالفًا لمنهج الله تعالى، وليلفت الانتباه كذلك إلى أن المجتمعات البشرية قاطبة في جميع العصور محكومة بالسنن التي تضبط حركتها وتطورها، وتحدد مصيرها في نهاية المطاف[٣].

ذلك أن الرؤية القرآنية والتوجيهات النبوية من خلال الوحي تؤكد أن هناك سُنَنًا صارمة تحكم حركة التاريخ والاجتماع البشري في كل زمان ومكان، فلا تتخلف ولا تحيد. ولولا ذلك لما كان في دعوة القرآن الكريم للسير في الأرض والتبصر بالعواقب والمآلات التي انتهت إليها المجتمعات البشرية أي معنى أو عبرة أو مردود[٤].

(١) عمر عبيد حسنة: تقديم كتاب الأمة، رقم ٢٦، أزمتنا الحضارية، ص ١١-١٣ (بتصرف).

(٢) أحمد كنعان: أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، ص ٤٥.
(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٤٥.
(٤) عمر عبيد حسنة: تقديم كتاب الأمة، رقم ٢٦، أزمتنا الحضارية، ص ١٣.

الأولويات في ساحة الأمة

د. محمد يسري إبراهيم

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم وبارك على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الأولويات في مسيرة الأمة تنطلق من قواعد السياسة الشرعية، ومن مقاصد إقامة الدين الكلية، وترتيب الأولويات يخضع لإدراك شرعي مقاصدي لرتب الأقوال والأعمال، وحسن تقدير لأهميتها وأرجحيتها نظريًّا وعمليًّا.

وهذا الفقه علمه الله تعالى لعباده في كتابه، وعلى لسان نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال سبحانه: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾[التوبة:١٩-٢٠].

وقد علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رتب الأعمال وما حقه التقديم منها، فحين أرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ داعيًا ومعلمًا قال له: ((إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي

يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ))[1].

وفي ظل حالة اضطراب وتدافع عالمية وبغي على الحق وأهله غير مسبوق - يشعر كثير من العلماء والدعاة الفضلاء بالحاجة إلى إعادة النظر في الأولويات العلمية والعملية في ساحة الأمة اليوم، وفيما يأتي من كلمات محاولة لترتيب الأفكار والأعمال، أسأل الله أن ينفع بها ويتقبلها بفضله!

وعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الفقه، فكتب إلى أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موجهًا ومفقهًا، فقال: «إن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، افهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع كلمة حق لا نفاذ له، آس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا يخاف ضعيف من جورك»[2].

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أخرجه الدارقطني في سننه (٤٤٧١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٤٦٠).

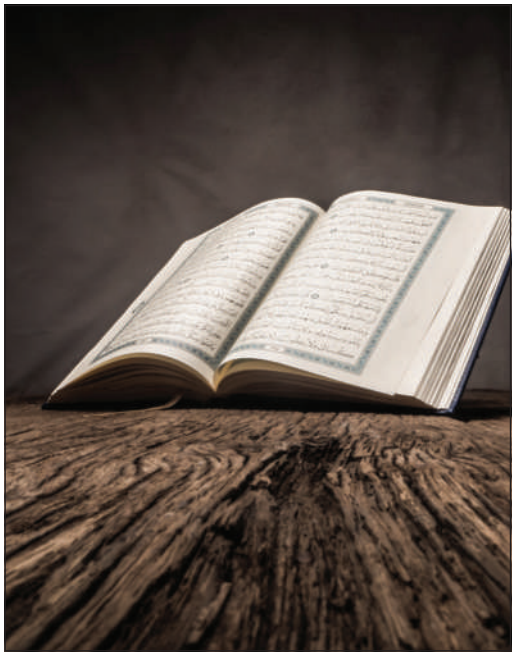

وقد عني كبار أهل العلم والفهم ببيان تلك الأولويات في كل زمان، فسارت الأمة على هدىً من كتاب ربها وسنة نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومقاصد شريعتها، وترجيحات علمائها في مسيرة تطاولت.

حتى إذا بلغت الأمة هذا العصر بما فيه من ضعف وانكسار، وما انتهت إليه من حال رصدت فيه مراجعات وتراجعات، فقد تعالت صيحات ونداءات تطالب بالبحث عن الأسباب وتقييم النتائج ومراجعة التجارب.

وفي ظل حالة اضطراب وتدافع عالمية وبغي على الحق وأهله غير مسبوق - يشعر كثير من العلماء والدعاة الفضلاء بالحاجة إلى إعادة النظر في الأولويات العلمية والعملية في ساحة الأمة اليوم، وفيما يأتي من كلمات محاولة لترتيب الأفكار والأعمال، أسأل الله أن ينفع بها ويتقبلها بفضله!

أولًا: إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد:

أول المأمورات وأولاها بالأمر بها: توحيد الله تعالى، وأول المنهيات وأولاها بالنهي عنها: الشرك بكل صوره، سواء في ذلك شرك القبور وشرك القصور.

قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

وخوض المعركة العقدية في إصلاح الإيمان يسبق المعركة العسكرية، فضلًا عن المعارك السياسية أو غيرها!

ولا يجاهد أهل الشرك والطغيان باليد والسنان إلا بعد جهادهم بالقرآن، وبلوغ الدعوة وإقامة الحجة والبرهان.

وتحرير الإنسان إنما يبدأ من تحريره من كل عبودية ورق، إلا العبودية لرب البرية! وهذه أولى الحريات وأولاها.

ومن تحررت عقيدته من أوهام الشرك والخرافة، فهو حريٌّ ألا تستعبده شهوة، وألا تستغرقه شبهة!

والدعوة إلى التوحيد - فوق أنه أرجى الأعمال- يزيل الوحشة من قلوب العامة، ويصلهم بأهل الدعوة، ويقطع السبيل على إعلام الفتنة؛ فهو شرف الدعاة، وحرز من الضعف، وسبب لبقاء الذكر!

وتحرير عبودية الإنسان للواحد الديان هي سبيل الاستخلاف، وطريق التمكين لهذا الدين، مع الحياة الطيبة، وازدهار الحضارات، وأمن المجتمعات.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور:٥٥].

والدعوة إلى التوحيد إنما تقام على وجهها بالنهي عن الشرك بكل وجوهه!

سواء في ذلك صرف شعائر التعبد والنسك لصنم أو وثن، أو صرف شعائر الطاعة والانقياد لمن يشرع أو يحلل ويحرم من دون الله!

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:٢١].

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون:١-٢].

وتحرير الإنسان إنما يبدأ من تحريره من كل عبودية ورق، إلا العبودية لرب البرية! وهذه أولى الحريات وأولاها.

ومن تحررت عقيدته من أوهام الشرك والخرافة، فهو حريٌّ ألا تستعبده شهوة، وألا تستغرقه شبهة!

ثاني الأولويات: أولوية الرد إلى الأمر الأول:

إن أولى أولويات الإصلاح بعد التوحيد، ورأس المهمات في دعوة أمة الإجابة كل زمان ومكان هي الرد إلى الأمر الأول!

وهو ((مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي))[١]، فما لم يكن يومئذ دينًا فلن يكون اليوم دينًا[٢]، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها[٣].

فطوبى للغرباء الذين يستمسكون بالهدي الأول، ويتبعون الرعيل الأول، ويرابطون على منهجهم!

إن المرابطة على منهج أهل السنة تعني الكشف عنه وتحريره في كل مجال علمي وعملي أولًا، كما تعني الاستمساك بالغايات والأصول والثوابت والمقاصد، والانضباط بالمشروعية في الوسائل والبرامج.

فالثبات على المنهج الحق أولوية العلماء والدعاة لا يجوز الإخلال بها لممارسة سياسية، ولا لمسألة مصلحية!

وقد يسع السياسي المسلم في ظل الصراعات الجارية - ما يترجح من التوافقات والمواءمات - ما لا يسع الداعية والعالم، فلتحرر المواقف المنهجية، وليعذر أهل الإسلام العاملون في ظل الظروف الاستثنائية القاهرة اليوم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) بنحوه من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه بلفظه المروزي في السنة (٥٩)، والحاكم في المستدرك (٤٤٤).

(٢) من كلام الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، الإحكام، لابن حزم (٦/ ٢٢٥).

(٣) أخرجه الجوهري في مسند الموطأ، من قول وهب بن كيسان رَحِمَهُ اللَّهُ (٧٨٣).

إن المرابطة على منهج أهل السنة تعني الكشف عنه وتحريره في كل مجال علمي وعملي أولًا، كما تعني الاستمساك بالغايات والأصول والثوابت والمقاصد، والانضباط بالمشروعية في الوسائل والبرامج.

ومعقد الولاء إنما هو على الإيمان، لا على الحزبية الدعوية، فضلًا عن الحزبية السياسية!

ومن أهم مؤيدات أولوية الرد إلى الأمر الأول اليوم قيام حرب فكرية أيديولوجية لاختطاف الإسلام والحرب عليه من داخله، عبر تغيير المفاهيم، وتحريف معاني الآيات والأصول والمصطلحات، وخلخلة ثوابت العقيدة والأحكام الشرعية!

ويخوض تلك الحرب نيابة عن أعداء الأمة وكلاء رسميون بأسماء وصور متنوعة!

ثالث الأولويات في ساحة الأمة اليوم: إيجاد القيادة العلمية العامة لأهل السنة والجماعة:

وهي مرجعية أهل العلم الكبار، الذين تجتمع بهم الكلمة، وتركن إلى فتاويهم في الشأن العامِّ الأمة، ممن عرفوا بمواقفهم في إنكار المنكرات، والتصدي للأخطاء والأخطار والملمَّات، وقدموا الولاء للأمة على الانتماء إلى حزب أو جماعة.

إن التغييب الظالم لأهل العلم الربانيين عن مشهد التوجيه العام، وتغيُّب طائفة

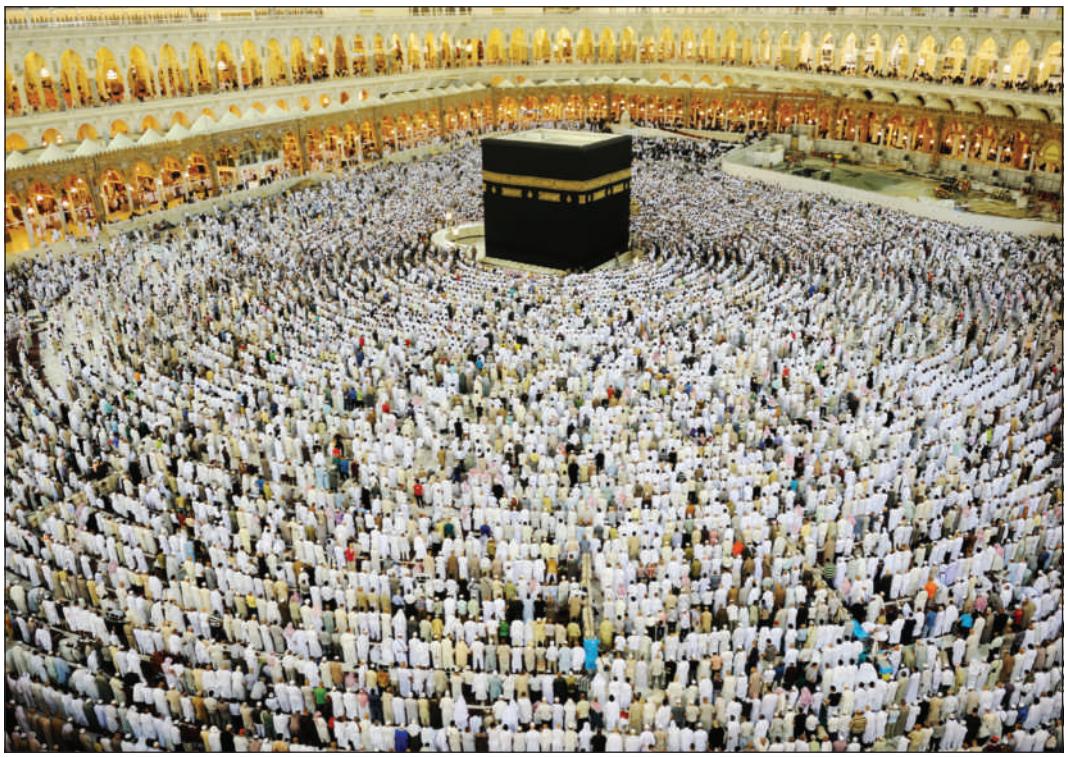

أخرى لانكفائها على شأن علمي خاص، وانسحاب كثيرين من الشأن العام، وبعدهم عن صياغة المواقف الشرعية من المستجدات والنوازل العصرية - مهد السبيل لتصدر غير المؤهلين، وفتح الطريق لصناعة وتبنِّي قيادات جماهيرية مزيفة!

ومما يؤسف له أن المؤسسات الدينية الرسمية وهيئات كبار العلماء ودور الإفتاء قد أصبحت مكفوفة اليد في الشأن العام في السنوات الأخيرة!

وإن قطرًا واحدًا اليوم لم تجتمع فيه القيادة العلمية على أحد بعينه، ولا على مجموعة علمية مؤسسية بعينها! مع سعي حثيث لتشويه العلماء ومؤسساتهم المستقلة.

ومما تمس إليه حاجة الساحة العلمية والعملية للأمة اليوم: وجود الدراسات الاستراتيجية والارتيادية من خلال كفاءات ومراكز بحثية متخصصة، تتمتع بالاستقلالية عن الضغوط المادية والمعنوية كافة؛ لتدير وتوظف الطاقات، وتتابع العمل في مواجهة الحرب التي تشنها منظومة الأعداء، وتجلي طريق النصر والظفر للأمة.

إن اجتماع العلماء والدعاة الربانيين في كل بلد بما تيسر من مؤسسات علمية مستقلة عن الضغوط والإملاءات من شأنه أن يجمع العباد على كلمة ناصحة، وفتيا راشدة، ويواجه الحرب على الثوابت، ويعزز من ثقة المجتمع بعلمائه ودعاته.

وإيجاد قيادة علمية موحدة في كل بلد يهيئ لظهور القيادة العلمية العامة لأهل السنة!

رابع الأولويات في ساحة الأمة: استعادة التيار العام في الأمة:

وذلك باستعادة وجود هذا التيار وتأثيره وإدارته، وهو إنما يتحقق بتقارب الدعوات والتجمعات والشخصيات السنية، برؤاها وأفكارها النظرية، وتوجهاتها العملية، لتنسق في الشأن العام مواقفها، وتوجه من خلال المؤسسات الجامعة طاقتها؛ لتحمي ثوابت الملة، وأصول العقيدة والشريعة.

إن للتيار الإسلامي العام مؤسساته المجتمعية، التي حمت الأمة في معظم تاريخها المجيد من تغول حاكم، أو تسلط طائفة متغلبة.

ومما تمس إليه حاجة الساحة العلمية والعملية للأمة اليوم: وجود الدراسات الاستراتيجية والارتيادية من خلال كفاءات ومراكز بحثية متخصصة، تتمتع بالاستقلالية عن الضغوط المادية والمعنوية كافة؛ لتدير وتوظف الطاقات، وتتابع العمل في مواجهة الحرب التي تشنها منظومة الأعداء، وتجلي طريق النصر والظفر للأمة.

ومؤسساته في العلم والفتيا والدعوة والاحتساب، وفي الصناعة والاقتصاد والإعلام، كما هي في السياسة والإدارة، والتكافل ورعاية المحتاجين والوقف، وصناعة الكفاءات في كل ميدان.

ومن أسف فإن الاستعمار ما عمل على شيء كما عمل على تمزيق تيار الأمة الجامع، وإضعاف رأيها العام، بحيث تسلط على كثير من المؤسسات فأضعفها:

بنقل تبعيتها للدولة العلمانية القومية.

وبالقضاء على موردها المالي المستقل وهو الأوقاف.

وبسن القوانين التي تمنعها من أداء رسالتها.

وبتولية غير الأمناء ولا الأكفاء عليها!

واستعادة وجود وتأثير التيار الإسلامي العام هو في الحقيقة تفعيل لعقيدة الولاء بين المسلمين، وتربية على الولاء لأهل السنة، مع الاختلاف في المنحى العملي، والاهتمام الدعوي.

فهو تعزيز لفقه الاجتماع، وتربية للأجيال على التصالح والوفاق.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

وتحذيرًا من مغبة المخالفة قال تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال:٧٣].

وإيجاد تيار الأمة الجامع اليوم فريضة على كل مسلم، وقد ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣].

والولاء بين أهل الإيمان لا تقطعه راية دعوية، ولا انتماءات حزبية، ولا تكدره اجتهادات إصلاحية.

والانتماء للأمة وإلى السنة مقصد وغاية، تقدم على الانتماء لجماعة ودعوة إذ هو وسيلة.

إن التيار الإسلامي العام يمثل ضرورة واقعية عملية لمواجهة تحديات صهيونية، وصليبية، وعلمانية، ورافضية، ومشاريع تجزيئية، تضرب بقوة في تماسك المجتمعات، وتهدد الجماعات والدول على حد سواء!

إن التيار الإسلامي العام يمثل ضرورة واقعية عملية لمواجهة تحديات صهيونية، وصليبية، وعلمانية، ورافضية، ومشاريع تجزيئية، تضرب بقوة في تماسك المجتمعات، وتهدد الجماعات والدول على حد سواء!

ومن دروس الواقع السني وعبره: أنه لا انفراد لطائفة أو حزب مهما بلغت قوته بالتمكين وإقامة الدين.

إن التيار الإسلامي العام يمثل تجديدًا دعويًا للخروج من مأزق وأزمة، وكما مثلت فكرة العمل الجماعي بعد سقوط الدولة العثمانية الجامعة حلًّا تجديديًّا؛ فكذلك التيار العام يمثل تجديدًا مستحقًا في العمل الجماعي، وتطويرًا في الجهد الدعوي، وتقوية لجانب الولاء للحق، وتغليبًا لمصالح الأمة، وتنمية لفقه التطاوع بين أهل السنة.

إن التيار العام يضبط التعددية في الساحة الدعوية والسياسية على حد سواء؛ ليكون التعدد نعمة لا نقمة، تتعدد معه أسباب القوة، من غير أن تتفرق به الكلمة في مهمَّات الأمة! ويمنع من تغليب مصالح جزئية على المصلحة الكلية، ويمهد لاجتماع كلمة أهل الحل والعقد في كل بلد من كل عالم متبع، وذي أمر مطاع.

وهكذا فإن الطاعات الجماعية على مستوى الأمة لابد لها من اجتماع العقول والسواعد والأموال في إطار من مؤسسات التيار العام في كل بلد وإقليم؛ وبهذا تخطو المجتمعات المسلمة بإيجاد التيار الإسلامي الجامع في كل بلد خطوة مهمة في طريق الأمة الواحدة.

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج:٤٠].

وصفوة القول: إنه كما على الأفراد والكيانات السعي في تحقيق اجتهاداتهم الإصلاحية، فإن على الجميع واجبًا مهمًا في إقامة التيار العام الجامع لأهل السنة، وإدارة مؤسساته وأعماله ونشاطاته المشتركة، التي تقوي جانب المحبة والنصرة والولاء بين أهل الإسلام والسنة وتدفع عن البلاد والعباد الفتن والمحن.

خامس الأولويات في ساحة الأمة اليوم: إطلاق خطاب النهضة الشامل:

إن الأمة مدعوة اليوم لإصلاح فكري يقود إلى عمل تجديدي ثوري في المجالات كافة!

وذلك كيما تستعيد الأمة ثقتها بمنهجها الحضاري، وتترسخ فيها إرادة النهضة، وتعمل فيها أدوات التغيير، وهو ركن مهم في بناء الحضارة، وتحصيل الصدارة.

وتشييد هذا الخطاب يحتاج بحثًا في أسباب التخلف ومسيرة الضعف، ويستدعي طرحًا لسؤالات النهضة، كما يستلزم إجابات مفصلة، ليست من قبيل الإجابات المجملة، ولو كانت مقبولة ومبشرة! نحو «الإسلام هو الحل»، أو «الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة».

فلا غنى بالنهضة عن مناهج مفصَّلة، ومسالك مدلَّلة، ومراحل معلَّلة.

وتشييد هذا الخطاب يحتاج بحثًا في أسباب التخلف ومسيرة الضعف، ويستدعي طرحًا لسؤالات النهضة، كما يستلزم إجابات مفصلة، ليست من قبيل الإجابات المجملة، ولو كانت مقبولة ومبشرة! نحو «الإسلام هو الحل»، أو «الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة».

ومهما كانت المعوقات من الجهل والتخلف والفقر والمرض والاستبداد وقلة الموارد البشرية المؤهلة - فلا يصلح ولا يجمل بالأمة أن يبقى أمل النهضة حلمًا تستدعيه من الذاكرة؛ لتستروح به فحسب!

فالواجب الانتقال من ذرف الدموع إلى إيقاد الشموع!

ولابد من تجاوز حدة الخلاف الفروعي، لأجل حشد عملي إيجابي.

وحتى تعبر الأمة إلى ميدان استعادة الثقة بالأطروحات النظرية والشعارات والأمجاد التاريخية، فلا مناص من إيجاد أنموذج عملي ملهم! يمثل بديلًا حضاريًا واعدًا، يسهل على الجموع الانحياز إليه، والسعي في إنجاحه عمليًا، عوضًا عن النماذج المعاصرة المرفوضة والمنحرفة دينيًا، والساقطة والمشوهة حضاريًا!

وحتى تعبر الأمة إلى ميدان استعادة الثقة بالأطروحات النظرية والشعارات والأمجاد التاريخية، فلا مناص من إيجاد أنموذج عملي ملهم! يمثل بديلًا حضاريًا واعدًا، يسهل على الجموع الانحياز إليه، والسعي في إنجاحه عمليًا، عوضًا عن النماذج المعاصرة المرفوضة والمنحرفة دينيًا، والساقطة والمشوهة حضاريًا!

وكل خطاب شامل للنهضة ينبغي أن يتضمن في مذكراته التفسيرية مشاريع عملية، وبرامج تنفيذية، يرابط من خلالها صناع النهضة على ثغور الأمة الإيمانية مرابطتهم على ثغورها العملية، في سياق حضاري ينجز الإصلاح السياسي، ويحقق التنمية المستدامة، ويبسط سلطان العدالة الاجتماعية، ويلحق بركب التقنية.

ومن خصائص خطاب النهضة الشامل: أن يعتني بالتأصيل والمنهجية التي تنطلق من الوحي كتابا وسنة، وأن يتعامل مع الواقع بمشكلاته وتحدياته، وأن يفيد من معطيات العصر التقنية، وعلومه الإدارية، في سعي للتجديد لا يخل بالثوابت، ولا يجمد على الموروث من الوسائل، اتصالًا بالأصل، ورعاية لمقتضيات العصر.

ومن الخصائص: العالمية، التي هي من خصائص الإسلام ورسالته، وعالمية رحمته.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧].

ومما يؤكد عالمية خطاب النهضة: عالمية الصراع المفروض على الإسلام ونبيه قديمًا وإلى اليوم!

ومن أسف أن يفتقد أهل السنة راية عالمية في ظل ارتفاع رايات عالمية للمبطلين، من كل ملة ونحلة!

والعالمية تتجاوز حدود المكان، فلا تنحصر في بلد، ولا تقصر خطابها على إنسان، فهي ترعى خصوصية المحكمات، وتفتح باب السعة في موارد الاجتهاد، لا تُلزم بمذهب فقهي بعينه، ولا تخلط

بين الوسائل والمقاصد، وتسعى لعالمية الروابط والمرجعيات، وعالمية المنافحة عن قضايا الأمة، وتحررها من كل فساد واستبداد.

ومن الخصائص: أن خطاب النهضة يرفض الشعور بالدونية والهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية، كما يرفض الانعزال والانسحاب من المواجهة الحضارية!

فلا ذوبان في العولمة، ولا إعراض عن المنافع المعاصرة.

فخطاب النهضة إنساني المنطلق، يبحث التعارف والتعاون على البر، وينفتح على المخالف بوعي إيجابي.

وأخيرًا فلا غنىً عن مشاركة مجتمعية واسعة، تكثر الخير وتقلل الشر، وتحذر من الوقوع في حبائل الباطل، عبر ممارسة عملية ومشاركة اجتماعية منضبطة، تبني المؤسسات الإعلامية والاقتصادية، وتتحرر من كل تبعية، وتقيم البرهان على حرص النهضة على هوية واستقلال مجتمعاتها، وتحقيق الرفاهية لمواطنيها.

الخاتمة:

القلوب مفعمة بالأمل، ويحدوها الرجاء نحو صالح العمل، ردًا إلى الأمر الأول، وإخراجًا للعباد من طور الفساد والاستبداد إلى جادَّة الهدى وسبيل الرشاد، وجمعًا للكلمة ووحدة للصف، واعتناءً بمشروع النهضة في مختلف تجلياتها ومجالاتها.

وتبقى التحديات صعبة بحجم الطموحات الضخمة، والنجاحات التي تتحقق على الأرض وبين الخلق هي التي ستكتب شهادة ميلاد حضاري جديد لغد مشرق ومستقبل واعد بخيري الدنيا والآخرة.

وعلى الله تعالى قصد السبيل، وهو وحده المستعان، وعليه التكلان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

لمحات وتبصرات في تفسير سورة الفتح

أ. د. حكمت الحريري

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد؛ فهذه لمحات وتبصرات في تفسير سورة الفتح:

الأولى: وجه الربط والتناسب بين سورة الفتح والتي قبلها:

خُتمت سورة محمد بالترغيب في الإنفاق في سبيل الله، فقال تعالى: (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم).

وكان من نتائج بذل الصحابة وإنفاقهم في سبيل الله الفتح العظيم الذي أعقب صلح الحديبية، فقد كان الصلح مقدمة لفتح مكة، فقال في أول سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾

لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢﴾.

ووجه آخر للتناسب بين السورتين:

قال تعالى في سورة القتال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝١١﴾، وقال: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ۝٣٥﴾.

وكان من ثمرة تلك النصرة الإلهية والمعية الربانية للمؤمنين حصول الفتح المبين ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١﴾ ... إلى آخر الآيات.

الثانية: محمد رسول الله:

بعد بيعة الرضوان بعثت قريش سهيل بن عمرو لعقد الصلح مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم دعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًّا ليكتب فأملى عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((بسم الله الرحمن الرحيم))، فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما ندري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم، فأمر النبي بذلك، ثم أملى: ((هذا ما صالح عليه محمد رسول الله))، فقال سهيل: لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((إني رسول الله وإن كذبتموني))، وأمر عليًّا أن يمحو لفظ ((رسول الله)) فأبى أن يمحوها، فمحاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده، وكتب بقية شروط الصلح، وكان في ظاهر هذه الشروط إجحاف بحق المسلمين.

الأمور التي رفضها المشركون والشروط التي اشترطوها كانت بدافع حمية الجاهلية وتكبرهم وتجبرهم عن التسليم برسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لقد أنكروا التسليم برسالة النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن الله تعالى أقرها في كتابه الكريم والقرآن الحكيم فجعلها كلامًا يُتعبَّد بتلاوته إلى قيام الساعة فيتلوه كل مؤمن مخبت لرب العالمين.

فقد أكد سبحانه وتعالى نبوة محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ورسالته في سورة الفتح وكررها مرات عديدة، والتكرار يفيد الإقرار ويبكت المعاند ويلحق بالجاحد العار والشنار.

فتأمل الآيات التالية في السورة التي تنص على رسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾.

ثم ختمت السورة بقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾، وكفى بالله شهيدًا أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، على رغم أنوف المشركين وكيد الكائدين وجحود الجاحدين وإلحاد الملحدين.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾، أدركها وأقر بها هرقل عظيم الروم لما وصله كتاب رسول الله يدعوه إلى الإسلام، وكذلك يدركها كل عاقل.

الثالثة: بيعة الرضوان:

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾.

سبب هذه البيعة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بلغ الحديبية وهي موضع على نحو عشرة أميال من مكة، أرسل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسولًا إلى أهل مكة يخبرهم أنه إنما جاء ليعتمر لا يريد حربًا، فلما وصل إليهم عثمان حبسه أقاربه كرامة له؛ فصرخ صارخ أن عثمان قد قتل، فدعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس إلى البيعة على القتال أن لا يفر أحد، وقيل بايعوه على الموت، ثم جاء عثمان بعد ذلك سالمًا وانعقد الصلح بين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين أهل مكة على أن يرجع ذلك العام ويعتمر في العام المقبل، والشجرة المذكورة كانت شجرة هناك ثم ذهبت. (انظر تفسير ابن جزي).

هذه البيعة العظيمة قال الله تعالى

عنها في موضع آخر من السورة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾، ففيها تشريف عظيم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتكريم للصحابة، حيث جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله.

فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الحديبية: ((أنتم خير أهل الأرض)) وكنا ألفًا وأربعمائة، ولو كنت أبصر لأريتكم مكان الشجرة (صحيح البخاري. ك: المغازي. المختصر رقم ٧٣٦١).

لقد رضي الله عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم وهذا الرضا والثناء أنزله الله من فوق سبع سماوات، وأنزل السكينة عليهم، لكن الرافضة وأهل البدع والزيغ والشرك والضلال يأبون ذلك، بل يغيظهم سيرة الصحابة الكرام، ولقد كتب العلماء من أهل السنة والجماعة أسفارًا في ذكر ترجمة الصحابة وسيرهم العطرة، كالإمام الذهبي وابن حجر العسقلاني وابن عبد البر وغيرهم، وكان طلاب المعاهد الشرعية والمدارس يقرؤون شيئًا من سيرة أصحاب النبي مثل كتاب (صور من حياة الصحابة)، و(صور من حياة التابعين) لعبد الرحمن رأفت الباشا وكتاب (رجال حول الرسول) لخالد محمد خالد.

ولكن كيد أعداء أهل السنة والجماعة ومكر الحاقدين على صحابة الرسول

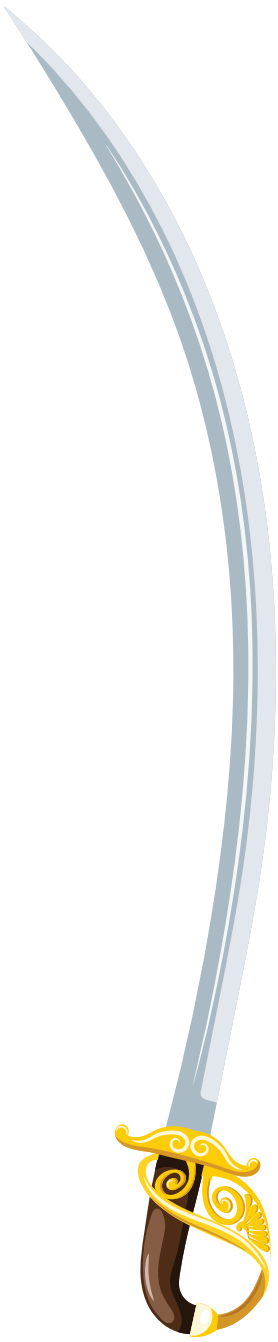

عمل بكل جهد على حذف هذه المادة من المقررات الدراسية، وتم لهم ذلك وا أسفاه! لتبقى الأجيال الناشئة جاهلة بتاريخ الإسلام وسيرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم.

فهل يدرك العقلاء والوجهاء أهمية دراسة سير الصحابة وتاريخهم المجيد فيحرصوا على تعليمه للأجيال ليبقوا على صلة وثيقة بتاريخ الإسلام العظيم؟

الرابعة: الفتح المبين:

ما أعظمها من سورة! سورة الفتح، لقد نزلت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أيام عصيبة وشدة ومحنة، بعد رجوعه من الحديبية وكان يريد أن يطوف بالبيت هو وأصحابه، كان على مقربة منه يريد أداء العمرة، ولم يأت لحرب أو مصادمة، لكن حمية الجاهلية عند المشركين حملتهم على صده ومنعه من قصده مهما كان نبيلًا.

ومن جهة أخرى كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد أخبر أصحابه أنه رأى في المنام أنه يطوف بالبيت الحرام، وساقوا معهم الهدي ولم يحصل ذلك بسبب الحمية الجاهلية عند المشركين، حتى ضاقت نفوس بعض الصحابة من الشروط المجحفة التي اشترطها كفار قريش وقبل بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الذي أخبرهم أنهم يطوفون بالبيت الحرام، ووصلوا على مقربة منه، ولولا أن أنزل الله السكينة على رسوله وعلى المؤمنين لحدث غير ذلك.

لكن المنحة الربانية والفرج يكونان بعد الشدة، واليسر يأتي بعد العسر، ولا يكون النصر والتمكين إلا بعد الابتلاء.

بعد رجوع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه الصحابة الكرام نزلت على النبي سورة الفتح؛ لتصف الواقعة، وما يعقبها للمؤمنين من الفتح والنصر والعزة والتمكين.

فهل يدرك العقلاء والوجهاء أهمية دراسة سير الصحابة وتاريخهم المجيد فيحرصوا على تعليمه للأجيال ليبقوا على صلة وثيقة بتاريخ الإسلام العظيم؟

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جئت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ((لقد أنزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس))، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾. (رواه البخاري).

وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة؟ وقد كان فتح مكة فتحًا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربع عشرة ومئة، والحديبية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركائبنا. (البخاري كتاب المغازي).

قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥﴾.

وقد جمع الله لنبيه وللمؤمنين أنواعًا من العطايا منها:

١- الفتح المبين.

٢- ومغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

٣- وهدايته إلى الصراط المستقيم.

٤- ويتم نعمته عليه.

٥- ومنحه النصر العزيز.

وقد جمع الله لرسوله بين الهدى والنصر؛ لأن هذين الأصلين بهما كمال السعادة والفلاح.

وأنزل الله السكينة في قلوب المؤمنين. ويزداد الذين آمنوا إيمانًا، إذ الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

الخامسة: آيات السكينة:

بعد هذا الموقف العصيب في الحديبية للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حيث لم يحققوا هدفهم العاجل ألا وهو أداء العمرة، وقد أصبحوا على مقربة من البيت الحرام، فصدهم المشركون، وأملوا عليهم الشروط المجحفة، لكن تدبير الله أعظم وأحسن عاقبة لعباده المؤمنين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون، لقد أفرغ الله عليهم الصبر وأنزل السكينة في قلوب المؤمنين، ولذا ذكرت كلمة السكينة في ثلاث آيات من هذه السورة المباركة فتأملها وتدبرها:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾.

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨﴾.

وقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٢٦﴾.

وذكرت آيات السكينة في ثلاثة مواضع أخرى من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٤٨﴾ (البقرة).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ (التوبة).

وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ (التوبة).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا اشتدَّت عليه الأمور قرأ آيات السَّكِينَة. وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه تعجز العقول عن حملها من محاربة أرواح شيطانيَّة ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوَّة، قال: فلمَّا اشتدَّ عليَّ الأمر، قلت لأقاربي ومن حولي: اقرؤوا آيات السَّكِينَة. قال: ثمَّ أقلع عنِّي ذلك الحال، وجلست وما بي قَلَبَةٌ. وقد جرَّبتُ - أنا أيضًا - قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب مما يرد عليه، فرأيت لها تأثيرًا عظيمًا في سكونه وطمأنينته» (مدارج السالكين، لابن القيِّم (٢/٥٠٢)).

والسكينة هي الطمأنينة التي يلقيها الله في قلوب عباده، فتبعث على السكون والوقار في قلوب عباده، وتثبت القلب عند المخاوف فلا تؤثر فيه المخاوف والمحن بل يزداد إيمانًا ويقينًا..

والسكينة هي الطمأنينة التي يلقيها الله في قلوب عباده، فتبعث على السكون والوقار في قلوب عباده، وتثبت القلب عند المخاوف فلا تؤثر فيه المخاوف والمحن بل يزداد إيمانًا ويقينًا.

اللهم أنزل السكينة في قلوبنا.

السادسة: وأثابهم فتحًا قريبًا:

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

بعد الانتهاء من بيعة الرضوان وعقد الصلح مع مشركي قريش تفرغ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنشر الدعوة، فأرسل الرسل إلى الملوك والجبابرة يدعوهم إلى الإسلام.

ومن جهة أخرى توجه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى مراكز الخطر والكيد والتآمر، فقد كان يهود خيبر سبب البلاء ومركز التآمر على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم الذين حزَّبوا الأحزاب ضد المسلمين وأثاروا بني قريظة على الغدر والخيانة، واتصلوا بالمنافقين وخططوا لاغتيال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فلما رجع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحديبية أقام بالمدينة عشرين ليلة أو قريبًا منها، ثم خرج إلى خيبر، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾، الفتح القريب هو فتح خيبر، جعلها ثوابًا لهم على بيعة الرضوان.

كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا اشتدَّت عليه الأمور قرأ آيات السَّكِينَة. وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه تعجز العقول عن حملها من محاربة أرواح شيطانيَّة ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوَّة، قال: فلمَّا اشتدَّ عليَّ الأمر، قلت لأقاربي ومن حولي: اقرؤوا آيات السَّكِينَة. قال: ثمَّ أقلع عنِّي ذلك الحال، وجلست وما بي قَلَبَةٌ.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ﴾، والذي عُجِّل لهم هو فتح خيبر والمغانم الكثيرة. ﴿وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾، فقد كان فتح مكة بعد سنتين من صلح الحديبية، وانتشر الإسلام في مختلف أرجاء الجزيرة العربية، بل إلى بلاد فارس والروم.

والمتأمل في السيرة النبوية والغزوات يجد أن نقض قبائل اليهود للعهد يأتي على إثر المعارك والغزوات الشهيرة..

ولما دنا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من حصون خيبر وقبل أن يدخلها دعا فقال: ((اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الأَرَضِينِ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا)).وبعد اقتحام الجيش إلى خيبر قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ((الله أكبر، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، الله أكبر، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إنَّا إذا نَزَلْنا بساحَةِ قَوْمٍ (فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ))).

والمتأمل في السيرة النبوية والغزوات يجد أن نقض قبائل اليهود للعهد يأتي على إثر المعارك والغزوات الشهيرة التي وقعت بين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين المشركين، فبنو قينقاع كانت بعد غزوة بدر، وبنو النضير بعد أحد، وبنو قريظة بعد الأحزاب، وخيبر بعد صلح الحديبية.

اللهم افتح لنا فتحًا مبينًا، وهاديًا ومعينًا، واهدنا صراطًا مستقيمًا.

وسلام على المرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وقفات شرعية مع الوباء والبلاء

د. كامل صبحي صلاح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن مما ابتليت به البشرية جمعاء في مثل هذه الأيام العصيبة الشديدة ما يسمى «بوباء كورونا المستجد»، والذي اعتبرته منظمة الصحة العالمية وباء وجائحة عالمية، وإن هذه النازلة والفاجعة التي حلَّت على الناس أوقفت الحياة الطبيعية الاعتيادية للبشرية كلها، وجعلتهم يعيشون في حالة استنفار دائم، وهلع وخوف ووجل واضطراب، مما أدَّى إلى إغلاق كثير من المساجد على وجه هذه المعمورة، وإيقاف صلاة الجمع والجماعات في كثير من مساجد الأرض كلها، والكل يقول بلسان حاله: «اللهم سلم سلم»، لذا كان لزاماً أن نقف أمام هذا الحدث الجلل والخطب العظيم وقفات شرعية، ونبين بعضاً من القضايا والمسائل المهمة، وبالله التوفيق والسداد.

أولاً:

إن ما أصاب الناس عموماً من بلاء ووباء إنما هو مكتوب ومقدر عليهم في اللوح المحفوظ من ربهم وخالقهم سبحانه وتعالى، فكل ما يقع في هذا الكون هو تحت مشيئته وقدره سبحانه جَلَّ وَعَلَا، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

قال ابن كثير: «﴿قُلْ﴾ أَيْ: لَهُمْ ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ أَيْ: نَحْنُ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ، وَقَدَرِهِ، ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ أَيْ: سَيِّدُنَا وَمَلْجَؤُنَا، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أَيْ: وَنَحْنُ مُتَوَكِّلُونَ عَلَيْهِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ».

وإن المؤمن إن أصابتْه سَرّاءُ مِن نِعمةٍ دِينيَّةٍ؛ كالعِلمِ والعَملِ الصّالحِ، ونِعمةٍ دُنيويَّةٍ؛ كالمالِ والبَنينَ والأَهلِ؛ شَكَرَ اللهَ، وإنْ أَصابتْه الضَّراءُ؛ صَبرَ عَلى أَقدارِ اللهِ، وانْتَظَر الفَرجَ مِن اللهِ، واحْتَسبَ الأَجرَ عَلى اللهِ؛ فَكان ذَلكَ خَيرًا له.

فعن صهيب بن سنان الرومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((عجباً لأمر المؤمن، إنَّ أمره كُلَّهُ خير، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سرّاء شكرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له)) (صحيح مسلم ٢٩٩٩).

ثانياً:

إن الكاشف لكل شدة وضرر وهم وحزن ومصيبة وبلاء هو الله ربنا وخالقنا ومولانا سبحانه وتعالى، جلَّت قدرته، وتعالت أسماؤه وصفاته، وأن المنعم والمتفضل على العباد بالسعادة والسرور والعافية والرخاء هو الله ربنا سبحانه وتعالى، ولا يقدر أحد من الخلق أن يحول بينك - أيها العبد - وبين ما أراد الله تعالى لك من خير وعافية، أو ابتلاك به من ضر وبلاء، نسأل الله تعالى السلامة والعفو والعافية.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧].

إن الكاشف لكل شدة وضرر وهم وحزن ومصيبة وبلاء هو الله ربنا وخالقنا ومولانا سبحانه وتعالى، جلَّت قدرته، وتعالت أسماؤه وصفاته، وأن المنعم والمتفضل على العباد بالسعادة والسرور والعافية والرخاء هو الله ربنا سبحانه وتعالى.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن يصبك الله، يا محمد، بشدة أو بلاء، فلا كاشف لذلك إلا ربُّك الذي أصابك به، دون ما يعبده هؤلاء المشركون من الآلهة والأنداد، ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ يقول: وإن يردك ربك برخاء أو نعمة وعافية وسرور ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ يقول: فلا يقدر أحدٌ أن يحول بينك وبين ذلك، ولا يردَّك عنه ولا يحرمكه؛ لأنه الذي بيده السَّرَّاء والضَّرَّاء، دون الآلهة والأوثان، ودون ما سواه، ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يقول: يصيب ربك، يا محمد بالرخاء والبلاء والسراء

والضراء، من يشاء ويريد ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لذنوب من تاب وأناب من عباده من كفره وشركه إلى الإيمان به وطاعته ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ بمن آمن به منهم وأطاعه، أن يعذبه بعد التوبة والإنابة».

ثالثاً:

إن العقوبة إذا وقعت فإنها تعم الفاعل للمنكر والمباشر له ولغيره ممن لم يفعل ذلك، فإذا انتشر وظهر الظلم والقهر والفساد، وعمت الفواحش والرذائل والمنكرات، ولم تبدل ولم تغير ولم تنكر، ولزم الناس السكوت على فاعليها.

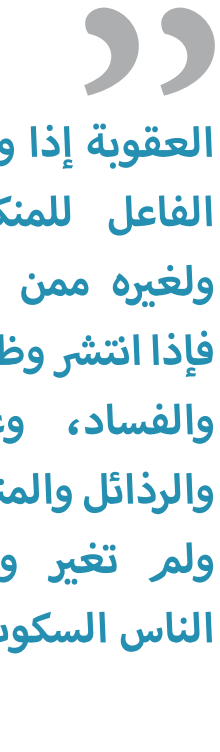

فالعقوبة تعم والعياذ بالله تعالى. قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٥].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ أيها المؤمنون ﴿فِتْنَةً﴾، يقول: اختبارًا من الله يختبركم، وبلاء يبتليكم ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾، هذه الفتنة التي حذرتكموها ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾، وهم الذين فعلوا ما ليس لهم فعله، إما إجْرام أصابوها، وذنوب بينهم وبين الله ركبوها. يحذرهم جل ثناؤه أن يركبوا له معصية، أو يأتوا مأثمًا يستحقون بذلك منه عقوبة».

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((يا مَعشَرَ المُهاجِرينَ! خَمسُ خِصالٍ إذا ابْتُلِيتُم بِهنَّ، وأَعوذُ باللهِ أنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لم تَظْهرِ الفاحِشةُ في قومٍ قطُّ حتى يُعلِنُوا بِها؛ إلا فَشا فِيهمُ الطاعونُ والأَوجاعُ التِي لم تكنْ مَضتْ في أسلافِهم الَّذين مَضَوا، ولم ينقُصُوا المِكيالَ والمِيزانَ إلا أُخِذُوا بالسِّنِينَ وشِدَّةِ المُؤْنةِ وجَورِ السُّلطانِ، ولم يَمنعُوا زكاةَ أموالِهم إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السَّماءِ، ولولا البهائِمُ لم يُمطَرُوا، ولا نَقَضُوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِه إلا سَلَّطَ عليهِم عدُوًّا من غيرِهم، فأَخَذُوا بعضَ ما في أيدِيهِم، وما لم تَحكُم أئِمَّتُهم بِكتابِ اللهِ، ويَتَخَيَّرُوا فِيما أنْزلَ اللهُ؛ إلا جَعلَ اللهُ بأسَهُم بينَهُم)) (صحيح الترغيب ١٧٦١ صحيح لغيره).

رابعاً:

وجوب الرجوع إلى الله تعالى، والتوبة والأوبة من الذنوب والخطايا التي اكتسبتها أيدي الناس.

قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

بمعنى إذا ظهر الفساد في البر والبحر، كالجدب وقلة الأمطار وكثرة الأمراض والأوبئة؛ وذلك بسبب المعاصي التي يقترفها البشر؛ ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ كي يتوبوا إلى الله سبحانه ويرجعوا عن المعاصي، فتصلح أحوالهم، وتستقيم أمورهم.

وإن من سنن الله جَلَّوَعَلَا الابتلاء والاختبار لعباده، بشدة الفقر وضيق المعيشة، وتفشي الأمراض والآلام؛ إذا كذبوا رسله وخالفوا أمره ونهيه، رجاء أن يتذللوا لربهم، ويخضعوا له بالعبادة والطاعة له وحده.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنعام: ٤٢].

قال الطبري: «﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ﴾ يا محمد ﴿إِلَىٰٓ أُمَمٍ﴾، يعني: إلى جماعات وقرون ﴿مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ﴾، يقول: فأمرناهم ونهيناهم، فكذبوا رسلنا، وخالفوا أمرنا ونهينا، فامتحناهم بالابتلاء ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ﴾، وهي شدة الفقر والضيق في المعيشة ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ (والضراء)، وهي الأسقام والعلل العارضة في الأجسام، وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ يقول: فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إليَّ، ويخلصوا لي العبادة، ويُفْردوا رغبتهم إليَّ دون غيري، بالتذلل منهم لي بالطاعة، والاستكانة منهم إليَّ بالإنابة».

الواجب في حال وقوع المصائب والبلايا، هو الالتجاء إلى الله تعالى، والتوجه له بالدعاء لأن يرفع البلاء والوباء، وصدق الاعتماد والتوكل عليه سبحانه، والأخذ بالأسباب الشرعية، والأوراد والأذكار الثابتة الصحيحة المرعية، فهي أسباب شرعية يجب على العباد ألا يقللوا من أثرها العظيم في الحفظ من المكاره والأمراض والآفات.

خامساً:

إن الأصل إذا وقعت بالأمة نازلة ومصيبة، أن يردَّ الأمر فيها إلى أهل الشرع وأهل العلم والرأي والنصح والعقل والرزانة والخبرة والاختصاص، فهم الذين يعرفون الأمور ويقدرون المصالح والمفاسد، والمنافع والمضار، ويستخرجون بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة ما هو صالح لعموم الأمة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ

﴿أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ [النساء: ٨٣].

وقال السعدي في تفسيره: «هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي: والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسروراً لهم وتحرزاً من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة. وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولَّى مَنْ هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ. وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقْدِم عليه الإنسان؟ أم لا، فيحجم عنه؟ ثم قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ أي: في توفيقكم وتأديبكم، وتعليمكم ما لم تكونوا تعلمون، ﴿لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾؛ لأن الإنسان بطبعه ظالم جاهل، فلا تأمره نفسه إلا بالشر. فإذا لجأ إلى ربه واعتصم به واجتهد في ذلك، لطف به ربه ووفقه لكل خير، وعصمه من الشيطان الرجيم».

سادساً:

إن الواجب في حال وقوع المصائب والبلايا، هو الالتجاء إلى الله تعالى، والتوجه له بالدعاء لأن يرفع البلاء والوباء، وصدق الاعتماد والتوكل عليه سبحانه، والأخذ بالأسباب الشرعية، والأوراد والأذكار الثابتة الصحيحة المرعية، فهي أسباب شرعية يجب على العباد ألا يقللوا من أثرها العظيم في الحفظ من المكاره والأمراض والآفات.

ومن هذه الأدعية الصحيحة:

١- ((اللهم إني أعوذ بك مِن جَهْدِ البَلاءِ، ودَرَكِ الشَّقاءِ، وسُوءِ القَضاءِ، وشَماتَةِ الأعْداء)).

لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((تَعَوَّذُوا باللَّهِ مِن جَهْدِ البَلاءِ، ودَرَكِ الشَّقاءِ، وسُوءِ القَضاءِ، وشَماتَةِ الأعْداء)) أخرجه البخاري (٦٦١٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٠٧).

٢- ومنها دعاء: ((بسمِ اللهِ الذي لا يَضرُ مع اسمِه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ وهو السميعُ العليمِ)) ثلاثُ مراتٍ، فمن قالها لم تصبْه فجأةُ بلاءٍ، ولا يضره شيء في صباح أو مساء.

لحديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((مَن قال صَباحَ كلَّ يومٍ ومَساءَ كل ليلةٍ - ثلاثاً -: بِسمِ اللهِ الَّذي لا يضرُّ معَ اسمِه شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ وهوَ السَّميعُ العَليمُ؛ لَم يَضرُّه شَيءٌ)).

٣- ومنها دعاء: ((اللهم إني أعوذُ بك من زوالِ نعمتِك، وتحوُّلِ عافيتِك، وفجأَةِ نِقمتِك وجميعِ سخَطِك)).

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((اللهم إني أعوذُ بك من زوالِ نعمتِك، وتحوُّلِ عافيتِك، وفجأَةِ نِقمتِك وجميعِ سخَطِك)) (صحيح مسلم ٢٧٣٩).

٤- ومنها دعاء: ((اللهم إنِّي أعوذُ بك من البَرَصِ والجنونِ والجُذامِ، ومن سَيِّئِ الأسقامِ)).

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اللهم إنِّي أعوذُ بك من البَرَصِ والجنونِ والجُذامِ، ومن سَيِّئِ الأسقامِ)) أخرجه أبو داود (١٥٥٤)، وأحمد (١٣٠٢٧) بإسناد صحيح.

٥- ومنها دعاء: ((اللهمَّ إني أسألُك العافيةَ في الدنيا والآخرةِ، اللهمَّ إني أسألك العفوَ والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي...)).

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لم يكن رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدَعُ هؤلاءِ الدَّعواتِ حين يُمسي وحين يُصبح: ((اللهمَّ إني أسألُك العافيةَ في الدنيا والآخرةِ، اللهمَّ إني أسألك العفوَ والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهمَّ استُرْ عوْراتي وآمِنْ رَوْعاتي؛ اللهمَّ احفَظْني من بين يديَّ ومِن خلْفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظَمتِك أن أُغتالَ مِن تَحتي)) (أخرجه أبو داود ٥٠٧٤ بإسناد صحيح).

٦- ومنها كثرة الدعاء والتوجه والتضرع إلى الله تعالى.

فعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((لن ينفَعَ حَذَرٌ مِن قَدَرٍ، ولَكِنَّ الدُّعاءَ ينفَعُ مِمّا نزلَ، ومِمّا لَم ينزِلْ، فعليكم بالدُّعاءِ عِبادَ اللَّهِ)) (السيوطي، الجامع الصغير ٧٣٧٨، حسن).

٧- ومنها دعاء: ((الحمدُ للهِ الذي عافانِي مِمّا ابْتلاكَ به، وفَضَّلَنِي على كَثيرٍ مِمَّنْ خلق تَفضِيلًا)).

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((مَن رَأى مُبتَلًى فقال: الحمدُ للهِ الذي عافانِي مِمّا ابْتلاكَ به، وفَضَّلَنِي على كَثيرٍ مِمَّنْ خلق تَفضِيلًا، لَمْ يُصِبْهُ ذلكَ البلاءُ)) (السيوطي الجامع الصغير ٨٦٦٧، حسن).

الواجب في حال وقوع المصائب والبلايا، هو الأخذ بالأسباب المادية والحسية الوقائية، ومنها الحجر الصحي، وعدم دخول أرض الوباء، وغيرها من الوسائل المعاصرة والحديثة.

سابعاً:

إن الواجب في حال وقوع المصائب والبلايا، هو الأخذ بالأسباب المادية والحسية الوقائية، ومنها الحجر الصحي، وعدم دخول أرض الوباء، وغيرها من الوسائل المعاصرة والحديثة.

فيحجر على المريض والسقيم في مكان مستقل؛ لئلا يعدي الصحيح السليم.

فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: ((لا عَدْوى)) وَيُحَدِّثُ أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: ((لا يُورِدُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ)) (صحيح مسلم ٢٢٢١).

حتى أنه يمنع المريض من مصافحة وملامسة السليم الصحيح لئلا يؤذيه، ومثل هذه الحادثة حصلت في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند مبايعة الناس.

فعن الشريد بن سويد الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانَ في وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ، فأرْسَلَ إلَيْهِ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنّا قدْ بايَعْناكَ فارْجِع. (صحيح مسلم ٢٢٣١).

ولذلك أمر الشارع الفرار من أصحاب الأمراض المعدية،كالمجذوم وغيره. نسأل الله تعالى السلامة والعفو والعافية.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((فِرَّ من المجذومِ فرارَكَ من الأَسدِ)). (السنن الصغير للبيهقي ٣/ ٦٥، صحيح، أخرجه البخاري (٥٧٠٧) مطولاً، وأحمد (٩٧٢٢) واللفظ له).

ومن الأسباب الحسية عدم الدخول إلى أرض فيها وباء، وعدم الخروج من أرض فيها وباء لئلا تنقل العدوى إلى أرض سليمة، وقد حصل الحدث في زمن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما قدم أرض الشام.

فعن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ إلى الشَّأْمِ، فَلَمّا جاءَ بسَرْغَ، بَلَغَهُ أنَّ الوَباءَ وقَعَ بالشَّأْمِ، فأخْبَرَهُ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ: أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: ((إذا سَمِعْتُمْ به بأَرْضٍ فلا تَقْدَمُوا عليه، وإذا وقَعَ بأَرْضٍ وأَنْتُمْ بها فلا تَخْرُجُوا فِرارًا منه))؛ فَرَجَعَ عُمَرُ مِن سَرْغَ. (صحيح البخاري ٦٩٧٣).

هذا ما تيسر إيراده، نسأل الله تعالى أن ينفع به، وأن يكون من العلم النافع والعمل الصالح، ونسأل الله اللطيف الخبير أن يحفظ العباد والبلاد من الآفات والأمراض والأسقام، وأن يرفع البلاء عن المسلمين أجمعين في مشارق الأرض ومغاربها.

الهالوين في حضرموت!

عبد الله بن فيصل الأهدل

الهالوين هو احتفال يُقام في عموم دول الكفر وكثير من الدول الإسلامية التي تسير في ركابها، وذلك في نهاية شهر أكتوبر من كلِّ عام، وهذا الاحتفال مرتبط بِعيدٍ للنصارى يُقال له: عيد جميع القدِّيسين الذي يعقبه في اليوم التالي، وأصل الهالوين وثني من أعياد المشركين وعبدة الشيطان، ويُسمَّى أيضًا: عيد الرعب، ثُم تَم دمج عيد الرعب بـعيد القدِّيسين الذي يحتفل به النصارى.

وتشمل تقاليد عيد الهالوين على الخدع والتنكر في أزياء وأقنعة مرعبة فيما يسمى: (زي الهالوين)، وقراءة القصص المخيفة عن جولات الأشباح في الليل، ومشاهدة أفلام الرعب، وزيارة المعالم السياحية المسكونة، وتزيين البيوت والشوارع باليقطين المزخرف بالأشكال المرعبة والمضاء والألعاب المرعبة، وغير ذلك من أمور تُنسب للرعب، وقد أُنتجت الكثير من الأفلام عن الهالوين يغلب عليها ما يُسمَّى بأفلام الرعب والكوميديا السوداء، ومثلها أفلام كرتون للأطفال.

وعلى الرغم من أنَّ عيد الهالوين تحوَّل في مناطق مختلفة من العالم إلى احتفال تجاري وعلماني، فإنَّه لا تزال تمارس فيه الاحتفالات الدينية المسيحية بما في ذلك حضور الطقوس الكنسيَّة وإضاءة الشموع على قبور الموتى من الأقارب وغير ذلك.

ويُعتبر عيد الهالوين احتفالًا عالميًّا تُغلِق فيه الدوائر الرسمية في الدول الغربية وغيرها أبوابها للاحتفال به.

وقد اقتحم عيد الهالوين على المسلمين ديارهم كما اقتحمها غيره من أعياد المشركين واليهود والنصارى، وقد كانت اليمن من أبعد الدول عن هذه الفتن لما لها من خصائص الإيمان والفطرة والمحافظة على التمسُّك بالدين في الجملة وعدم مسايرة الكفار.

وليت التقليد للغرب يكون في الأمور الإيجابيَّة المفيدة كالتقدُّم المادي والنظم الإبداعيَّة وما يحقق رفاهة المواطن والإنسان فيما لا يخالف الشريعة المطهَّرة.

وما زالت الهجمات إثرَ الهجمات على شعب اليمن المستهدف عالميًّا لتغيير هويته ونزع نخوة رجاله، ومن هذه الهجمات ما سمعناه قبل أيام قليلة من اعتزام جماعة مجهولة الاحتفال بالهالوين في تجمع مختلط من شباب وفتيات بلبس تنكري في مدينة المكلا نهاية هذا الأسبوع من الساعة التاسعة مساء وهي البلاد التي تقلُّ فيها التحركات من بعد صلاة العشاء حتى تكاد تنعدم في الساعة التاسعة التي يعتزمون بدء احتفالهم فيها.

ونقول وبالله التوفيق:

المشاركة في الاحتفال بأعياد المشركين واليهود والنصارى وعموم الكفار ليست من ديننا الحنيف ولا تمت للإسلام بصلة، وما اقتفاء الكثير من المسلمين لخطى كفار الشرق والغرب بحثًا عمَّا يقلدونه إلَّا لضعف إيمانهم وتفريطًا منهم في دينهم - وهو أعزُّ ما عندهم -، وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن وقوع ذلك كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ)). قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: ((فَمَنْ؟)) [رواه البخاري (٣٤٥٦، ٧٣٢٠) ومسلم (٢٦٦٩)، ونحوه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا؛ رواه البخاري (٧٣١٩)].

قال الحافظ ابن حجر: «والذي يظهر أنَّ التخصيص إنَّما وقع لجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته، ومع ذلك فإنَّهم لاقتفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لتبعوهم»ا.هـ. [فتح الباري (٦/ ٤٩٨)].

وأيُّ رداءة وضياع أعظم من مناسك الرعب التي ينسكونها في احتفال الهالوين؟

فالهالوين وأشباهه من «المُرِّ» الوارد في حديث عَبْد اللهِ بْن عَمْرٍو

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ((لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حُلْوَهَا وَمُرَّهَا)). [أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٨٥٣٢)، وعزاه الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٠١) للشافعي وصحح سنده].

وليت التقليد للغرب يكون في الأمور الإيجابيَّة المفيدة كالتقدُّم المادي والنظم الإبداعيَّة وما يحقق رفاهة المواطن والإنسان فيما لا يخالف الشريعة المطهَّرة.

وأمَّا شُبهة تحول هذه الأعياد إلى عادات وتجارات ومكاسب ولهو فهي أوهن من خيط العنكبوت - فمع كون ذلك من إضاعة المال -؛ فالرسميات هي المتحكمة في تلك الاحتفالات، ومخالفتها تفقد الاحتفالات قيمتها عندهم، ولا تجد هذه الشُبهة إلَّا عند المسلمين ليخدعوا بها من بقي فيه مسكة من عقل وتفكير من أتباعهم، وسيأتي الردُّ على هذه الشُبهة فيما يلي..

ها هنا أصل عظيم يجب ألَّا يجهله أحد من المسلمين، وهو أنَّ موافقة الكفار والتشبه بهم منهي عنه باتفاق الأئمة، بيَّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فقال:

«الوجه الثالث في تقرير الإجماع: ما ذكره عامَّة علماء الإسلام من المتقدِّمين والأئمة المتبوعين وأصحابهم في تعليل النهي عن أشياء بمخالفة الكفار أو مخالفة الأعاجم، وهو أكثر من أنْ يمكن استقصاؤه، وما من أحد له أدنى نظر في الفقه إلَّا وقد بلغه من ذلك طائفة، وهذا بعد التأمل والنظر يورث علمًا ضروريًّا باتفاق الأئمة على النهي عن موافقة الكفار والأعاجم والأمر بمخالفتهم»ا.هـ. [اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص١٣٣)].

«وأمَّا أعياد المشركين فجمعت الشُبهة والشَهوة، وهي باطل؛ إذ لا منفعة فيها في الدين، وما فيها من اللذة العاجلة فعاقبتها إلى ألم، فصارت زورًا، وحضورها: شهودها، وإذا كان الله قد مدح ترك شهودها الذي هو مجرَّد الحضور برؤية أو سماع، فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك من العمل الذي هو عملُ الزور لا مجرَّد شهوده».

ومن أدلة هذا الأصل: حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)). [رواه أبو داود (٤٠٣٣) وغيره، وحسَّنه الحافظ في الفتح (١٠/ ٢٧١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٤٩)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الحديث أقلُّ أحواله أنَّه يقتضي تحريم التشبُّه بهم، وإنْ كان ظاهره يقتضي كفر المتشبِّه بهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[المائدة: ٥١]»...

إلى أن قال: «فهو يقتضي تحريم التشبُّه بهم بعلة كونه تشبُّهًا»ا.هـ. [اقتضاء الصراط المستقيم (ص٨٣)].

وهذا يعني تحريم التشبُّه بهم من أجل أنَّه تشبُّه لا لسبب آخر، فسواء كان المتشبَّه به منصوصًا على تحريمه في شرعنا أو لم يكن؛ فكونه تشبُّهًا يكفي بحدِّ ذاته لتحريمه.

وأمَّا شُبهة كونه من العادات، وأنَّه ليس من العبادات المختصَّة بالكفار، فالجواب كما ذكرنا من قبل أنَّ الرسميات - التي هي في حقيقتها مناسك لهم كما سنذكره عن شيخ الإسلام فيما يلي - هي المتحكِّمة في الاحتفالات، ومن ذلك - مثلًا -: التزام الزي والقناع التنكري، واحترام الخصوصية - حسب تعبير دعوة حفل الهالوين في المكلا -، واحترام الخصوصية تشتمل على المحافظة على تنكر وقناع الآخرين من الانكشاف.. إضافة لما فيه من تجمع مختلط لا يتوجه إليه إلَّا أهل الفسق والفجور والريب.

وحتى لو تخيلنا أنَّ عيد الهالوين - وأمثاله - ليس له أصل تعبدي عند الكفار؛ فنقول: عادات الكفار أيضًا داخلة في النهي عن التشبُّه بهم، لعموم الأدلة الواردة في النهي عن التشبُّه بهم، كما قال شيخ الإسلام:

«.. مثل قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ تَشبَّه بقومٍ فهو مِنهم)) فإنَّ موجب هذا تحريم التشبُّه بهم مطلقًا»ا.هـ. [اقتضاء الصراط المستقيم (ص١٨١)].

ومما يدلُّ على ذلك أيضًا حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ)) [رواه البخاري (٣٤٦٢) ومسلم (٢١٠٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ - تعليقًا على هذا الحديث -: «... أمر بمخالفتهم، وذلك يقتضي أنْ يكون جنس مخالفتهم أمرًا مقصودًا للشارع؛ لأنَّه إنْ كان الأمر بجنس المخالفة حصل المقصود وإن كان الأمر بالمخالفة في تغيير الشعر فقط فهو لأجل ما فيه من المخالفة؛ فالمخالفة إمَّا علَّة مفردة، أو علَّة أخرى، أو بعض علَّة. وعلى جميع التقديرات تكون مأمورًا بها مطلوبة للشارع»ا.هـ. [اقتضاء الصراط المستقيم (ص٥٠)].

ومما قاله شيخ الإسلام في أعياد المشركين: «وأمَّا أعياد المشركين فجمعت الشُبهة والشَهوة، وهي باطل؛ إذ لا منفعة فيها في الدين، وما فيها من اللذة العاجلة فعاقبتها إلى ألم، فصارت زورًا، وحضورها: شهودها، وإذا كان الله قد مدح ترك شهودها الذي هو مجرَّد الحضور برؤية أو سماع، فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك من العمل الذي هو عملُ الزور لا مجرَّد شهوده»ا.هـ. [اقتضاء الصراط المستقيم (ص١٨٣)].

والمقصود بكونها زورًا، وبمدح ترك شهودها هو قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان: ٧٢].

وتأمل قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذ لا منفعة فيها في الدين...».

فما لا منفعة فيه في الدين فهو باطل يجب التحرُّز منه، لا سيما التجمعات التي لا تخلو من المخالفات ولا يأتيها أهل الخير والصلاح.

وقال شيخ الإسلام أيضًا: «إنَّ الأعياد من جملة الشرع والمناهج والمناسك التي قال الله سبحانه: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج: ٦٧] كالقبلة والصلاة والصيام فلا فرق بين مشاركتهم في العيد، وبين مشاركتهم في سائر المناهج.

ينبغي لكلِّ ذي سلطان وللآباء والأمهات وللعلماء والمدرِّسين والوعَّاظ ونحوهم أن ينهوا عن مثل تلك المخالفات والاحتفالات وما يصاحبها، وكلُّ راع مسؤول عن رعيَّته كما ثبت بذلك الحديث..

فإنَّ الموافقة في جميع العيد موافقةٌ في الكفر، والموافقة في بعض فروعه موافقة في بعض شعب الكفر؛ بل الأعياد هي مِنْ أخصِّ ما تتميز به الشرائع ومِنْ أظهرِ ما لها من الشعائر، فالموافقة فيها موافقة في أخصِّ شرائع الكفر وأظهرِ شعائره. ولا ريب أنَّ الموافقة في هذا قد تنتهي إلى

الكفر في الجملة بشروطه»ا.هـ. [اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٠٨)].

ومن فقه أئمة الإسلام في أعياد المشركين ما نقله شيخ الإسلام عن ابن حبيب المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قال: وسُئل ابن القاسم عن الركوب في السفن التي تركب فيها النصارى إلى أعيادهم فَكَرِهَ ذلك مخافة نزول السخط عليهم بشركهم الذي اجتمعوا عليه.

وكَرِه ابن القاسم للمسلم أنْ يُهدي إلى النصراني شيئًا في عيدهم مكافأة له ورآه من تعظيم عيده، وعونًا لهم على كفرهم.

ألَّا ترى أنَّه لا يحل للمسلمين أنْ يبيعوا من النصارى شيئًا من مصلحة عيدهم لا لحمًا ولا إدامًا ولا ثوبًا، ولا يعارون دابة، ولا يعاونون على شيء من عيدهم؛ لأنَّ ذلك من تعظيم شركهم ومن عونهم على كفرهم، وينبغي للسلاطين أنْ ينهوا المسلمين عن ذلك. وهو قول مالك وغيره، لم أعلمه اختلف فيه.

فأكل ذبائح أعيادهم داخل في هذا الذي اجتمع على كراهته، بل هو عندي أشدُّ. فهذا كله كلام ابن حبيب»ا.هـ. [اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٣١)].

فينبغي لكلِّ ذي سلطان وللآباء والأمهات وللعلماء والمدرِّسين والوعَّاظ ونحوهم أن ينهوا عن مثل تلك المخالفات والاحتفالات وما يصاحبها، وكلُّ راع مسؤول عن رعيَّته كما ثبت بذلك الحديث، ولأهل اليمن عبرة فيمن حولهم من الدول التي تولَّت الكفار واليهود والنصارى وتخلَّت عن الإسلام منذ زمن طويل؛ ففي أندية وفنادق ومسارح بعض تلك الدول ما يَبرأ إلى الله عَزَّوَجَلَّ منه كلُّ مسلم.

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢].

نسألُ الله عَزَّوَجَلَّ أن يُجنِّبنا وعامَّة المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن.

أسس التفكير في القرآن الكريم

د. محمد العبدة

مقدمة:

لا شك أن قضية تصحيح الفكر قضية مهمة جدًا وخطيرة؛ فيجب على المرء الانتباه لها والتركيز عليها، حتى لا يضيع الإنسان في الأوهام والخرافات واللاعقلانية، والقرآن الكريم بما أنه كتاب هداية للناس الذين يتبعونه فلذلك وضع أسس التفكير السليم، ونراه قد نعى وشدد كثيرًا على الذين لا يستعملون عقولهم، ويتبعون آباءهم بمجرد العصبية، دون النظر فيما كانوا فيه من ضلال، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف]، وقال: ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة].

وحين يقول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ فهذه دعوة للإنسان بأن لا يضيع عمره في أشياء ليست مبنية على علم صحيح، لذلك حرم الإسلام الكهانة والسحر والاعتقاد في الكواكب كما كان يعتقد بعض الفلاسفة اليونانيين، وعنهم أخذ هذه العقيدة الفارابي الذي يسمونه فيلسوف الإسلام!

والآيات التي تدعو لاستعمال الفكر واستعمال العقل في النظر للكون وحوادث التاريخ كثيرة جدًّا، ودائمًا تنتهي بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾، وقد استعمل القرآن الكريم طريقة الأسئلة

كثيرًا لتستثير عقل الإنسان وتحثه على التفكير في الإجابة قال تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ [الرعد: ١٦] والآيات في هذا الباب كثيرة جدًّا.

> **جعل الله الإيمان سببًا لتنزل البركات وعموم النعم، والتكذيب سببًا للعقاب والعذاب.**

ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم تضمن أسس التفكير السليم، وأهل العلم يستنبطونها منه، من هذه الأسس قضية الأسباب والمسببات، هذه قضية مهمة جدًّا والغلط فيها يؤدي إلى مهالك، إذ لا بد للإنسان إذا أراد الحصول على نتائج أن يأخذ بالأسباب المادية والمعنوية كلها مع التوكل على الله، فلا يعتقد أن الأسباب كلها تكفي، بل لا بد من الاستعانة بالله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف]، فهنا جعل الله الإيمان سببًا لتنزل البركات وعموم النعم، والتكذيب سببًا للعقاب والعذاب، كذلك في الآية الثانية جعل الإحسان سببًا لحصول الحكمة والعلم للعبد، وينبغي الانتباه هنا إلى أمر مهم وهو أن النتائج قد تتعجل وقد تتأخر، فإذا تأخرت يكون لسبب إما لتقصير الفرد في تحصيل الأسباب أو لحكمة يعلمها الله قد يعجز العبد عن معرفتها.

كذلك من أسس التفكير السليم مفهوم السنن الكونية الشرعية، والقرآن الكريم يكرر الدعوى للتفكير في أن المجتمع الإنساني يحتكم إلى سنن وقوانين ثابتة، فإذا أراد المجتمع التقدم أو النصر فعليه النظر في السنن الكونية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

والمسلم ليس مستثنًى من هذه السنن، فلا يغتر بأنه مسلم فبالتالي لا بد أن يكون النصر له! بل لا بد أن يراعي هذه السنن التي أنزلها الله تعالى، فهناك أعمال لا

بد أن يؤديها وأسباب يجب أن يحصلها وموانع يلزم أن يتجنبها وهكذا.

والمسلم ليس مستثنًى من هذه السنن، فلا يغتر بأنه مسلم فبالتالي لا بد أن يكون النصر له! بل لا بد أن يراعي هذه السنن التي أنزلها الله تعالى، فهناك أعمال لا بد أن يؤديها وأسباب يجب أن يحصلها وموانع يلزم أن يتجنبها.

ومن أسس التفكير السليم التي أكد عليها القرآن الكريم الدعوة للتفكير العلمي المنطقي البرهاني، والنهي عن عكس ذلك من اتباع الظن والهوى، ودائمًا يُلاحظ أنه في الآيات الكريمة عند مخاطبة الكفار يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾[النمل]، وبطلب البرهان العقلي في المحاججة مع الكفار يتعود المسلم على أن يبرهن على قضاياه وما يؤمن به برهانًا مستقيمًا.

كذلك من أسس التفكير السليم في القرآن الكريم حث المسلم على التفكير في النتائج والثمرات، فلا يشغل باله بأمور يستحيل عليه أن يعرفها أو أمور غير مطلوبة منه، بل يفكر في النتائج العملية التي يستفيد منها، فمثلًا لما سأل السائل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الساعة لم يجب السائل عنها لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم هو أيضًا متى الساعة، ولكن قال له: ((ماذا أعددت لها؟))، فصرف تفكيره إلى ما ينفعه من التجهيز والإعداد، وكذلك في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ٢٩] يوجِّه الله تعالى نبيه أن يجيب السائلين الذين يسألون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسئلة فلكية لماذا يكون القمر صغيرًا ثم يكبر؟ ونحو ذلك، بإجابة تلفتهم إلى الفائدة العملية التي يستفيدون منها، وهي أنه يكون بها معرفة المواقيت للناس

في رمضان والحج والأشهر الحرم وكذلك حساب السنين، فنبههم إلى الفائدة العملية بدل ما سألوا منه مما هو ليس من علومه ولا اختصاصهم ولا ينفعهم معرفته.

ومن أسس التفكير السليم التي أكد عليها القرآن الكريم الدعوة للتفكير العلمي المنطقي البرهاني، والنهي عن عكس ذلك من اتباع الظن والهوى.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[الإسراء]، فالروح لا يمكن أن يعرف حقيقتها الإنسان، فالسؤال عنها ضرب من التعدي، ولكن الصواب التفكير فيما يفيد في الدنيا والآخرة.

ومن رحمة الله تعالى بالإنسان وبالمسلم لم يكتف بذكر أسس التفكير السليم بل نبه إلى ما يعوِّق ذلك ويمنعه، وأرشد إلى اجتنابه، ومن ذلك مرض الآبائية بمعنى تقديم قول الآباء والأجداد من باب القرابة والعصبية فقط، وإن كان الآباء لا يفهمون ولا يعلمون، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ﴾ [البقرة: ١٧٠] لمجرد كونهم آباء دون أن يتعقَّلوا ما يعرض عليهم ويتفكروا فيه، ويمكن للمسلم أن يقع في شيء من مرض الآبائية، حين يتعصب مثلًا لشيخ أو زعيم أو مذهب معين، أو أن ينظر إلى كل قديم على أنه صحيح دون أن ينظر ويفكر وينقد، فهذا أيضًا من أعراض هذا المرض، ولكن كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل يؤخذ من قوله ويترك، إلا صاحب هذا القبر»، وأشار إلى قبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

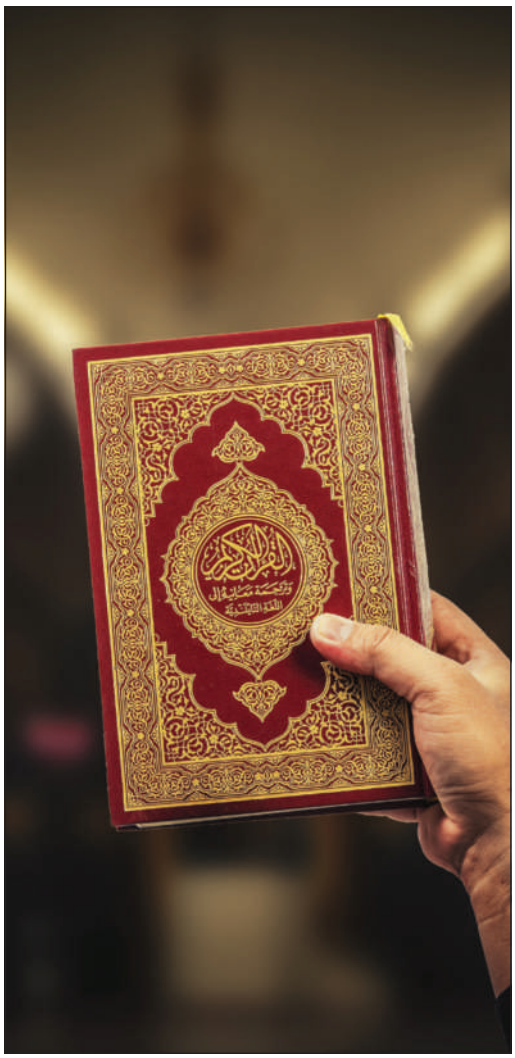

ومن العوائق التي ذكرها القرآن الكريم التفكير الجزئي بمعنى أن الإنسان إذا كان في مشكلة يجب عليه أن ينظر إليها من جميع الجوانب حتى يعرف أصلها وفصلها، حتى يستطيع أن يعرف كيف يتعامل معها، والقرآن ذكر هذه القضية وأشار إلى أن أي موضوع يجب دراسته من جميع النواحي قبل اتخاذ قرار حوله قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾[يوسف: ٣٩]، ويمكن أن نمثل في هذا الإطار ببعض القضايا السياسية التي يُنظر لها بمنظور جزئي ولا يُنظر لأبعادها الأخرى الإقليمية والعالمية، مثل قضية فلسطين، فهي بالأساس ليست قضية فلسطينية، بل هي قضية إسلامية وعربية بل عالمية لأن حلفاء الصهيونية يناصرونها من كل مكان، كذلك المد الصفوي ينبغي أن ينظر له من جميع الجهات.

ومن الأشياء التي تعيق التفكير وذكرها القرآن الكريم، ممارسة التفكير التبريري، يعني الإنسان إما أن يبرر الخطأ أو يزعم أنه لم يخطئ أو يرمي الأخطاء في الآخرين، فمثلًا كثير من المسلمين يجعل كل مشاكلنا من الاستعمار والغرب والاحتلال ولا ينظر إلى مشاكلنا نحن، وهذا منهج خطير لأنه لا يساعد على اكتشاف الأخطاء وبالتالي يصعب يحلها، وهو منهج إبليسي، لأن الله تعالى قال حاكيًا قول إبليس: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر: ٣٩]، فهو ينسب الغواية إلى الله تعالى، بينما سيدنا آدم اعترف بخطئه وتحمل هو وزوجته المسؤولية عن الخطأ ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف].

ومن الأشياء المعيقة للتفكير السليم ونبه القرآن لها عدم الانفتاح على الآخرين، لأن الآخر قد يكون عنده شيء من الصواب، ومن المعروف أن الحكمة ضالة المؤمن أنما وجدها التقطها، والله تعالى وبخ اليهود والنصارى على هذا المنهج، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة]، فهكذا ينبغي أن نستفيد مما عند غيرنا، ولا نقول أن ما عند الغير كله باطل.

الشيخ الشهال ... رجل فقدناه

فـــواز جنيـــــد

هو داعي الإسلام بن سالم بن حسن الشهال، ولد في مدينة طرابلس اللبنانية ١٩٦١م، لعائلة معروفة بالالتزام والتدين والتزام منهج أهل السنة والجماعة اعتقاداً وعملاً، حيث أسس والده تياراً دعوياً أسماه (مسلمون)، وكان أميره في فترة ستينات القرن الماضي، وكان له دور في التصدي لبعض الأطراف السياسية التي كانت تطمع في سن تشريعات علمانية تلغي بموجبها قانون الأحوال الشخصية المتعلق بأحكام الزواج الإسلامي وتستبدله بالمدني الوضعي، فوقف الأمير سالم الشهال وتياره وقفة مشرفة، في التصدي لهذا العدوان على شريعة الزواج، وكان يطوف على المساجد ويحرض المسلمين على رفض هذا القانون الفاجر، حتى أنه ألقى خطاباً قوياً في جمهور من الناس أمام سرايا طرابلس الحكومي، وكان من بركة هذا التحرك أن رفض محامو طرابلس مناصرة محامي بيروت في دعم هذا المشروع، وانتهى الأمر بفضل الله تعالى بفشل هذا المشروع وسقوطه.

في منتصف السبعين من القرن الماضي التحق الشيخ داعي الإسلام بالمعهد

الشرعي الوحيد في مدينة طرابلس، حيث تعرفت عليه لأول مرة من خلال هذا المعهد، ومع مرور الوقت توثقت العلاقة حتى كنا لا نكاد نتفارق حتى بعد خروجنا من المعهد. ثم صحبته بعد التخرج من المعهد في الجامعة الإسلامية التحقت بها بعد عام من التحاق الشيخ داعي بها.

في تلك الفترة كانت المنطقة تعج بالحركات البعثية والناصرية واليسارية، وغيرها من الحركات التي لا تتبنى الإسلام كمنهج حياة، بل أكثرها يحاربه ويعاديه، وكان هناك حركات إسلامية، ولكنها ضعيفة وليس لها تأثير على المشهد العام في لبنان. ومما زاد الطين بلة إن عدداً من المشايخ كانوا يناصرون بعض هذه الحركات العلمانية، ولا سيما الناصرية في عهد عبد الناصر، كما ظهرت فرقة بدعية جديدة هي فرقة (الأحباش) التي تنتسب للشيخ الضال الهالك عبد الله الحبشي، حيث اتسمت بأشعرية غالية في العقيدة، وصوفية وثنية تبيح أشكالاً من الشرك ودعاء غير الله تعالى، وكانت تركز في دعوتها على تكفير شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه والتيار السلفي عموما، وكذلك تكفر باقي الحركات الإسلامية ورموزها، وعلى رأسهم سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان تصنيف علماء السنة ورميهم بالكفر والزندقة ديدن هذه الجماعة الضالة في كل ما تلقيه من الدروس والخطب، وكانت تحظى بدعم ظاهر من النظام السوري وقواته التي كانت تستولي على لبنان منذ عام ١٩٧٥م، والخطير في الأمر أنه في ظل الفراغ الدعوي والجهل المستشري في الساحة وجد هؤلاء فرصتهم الذهبية لنشر أفكارهم وعقائدهم الباطلة، كما أنهم وفي غفلة قاتلة من دار الإفتاء اللبنانية استطاع هؤلاء اختراق عدد من المساجد والاستيلاء عليها واعتلاء منابرها، كما عمدوا إلى التمدد خارج المدن إلى القرى وغيرها.

استشعر الشيخ مبكراً خطر الأحباش على عقيدة الأمة ودينها، وبدأ بالتحرك في بعض المساجد وفي الأحياء الشعبية حيث يتواجد الشباب، ينشر العقيدة الصحيحة، ويحذر من فساد منهج الأحباش، فلاقى كثيراً من النقد والخذلان!

هنا استشعر الشيخ داعي على حداثة سنه خطر هؤلاء على عقيدة الأمة ودينها، وبدأ بالتحرك في بعض المساجد وفي الأحياء الشعبية حيث يتواجد الشباب، ينشر العقيدة الصحيحة، ويحذر من

فساد منهج الأحباش، فلاقى كثيراً من النقد والخذلان من بعض الجماعات الإسلامية، وإهمالاً للموضوع من طرف كثير من المشايخ، لكن بمقابل ذلك وجد متحمسين من بعض الدعاة والشباب المسلم للتصدي لخطر هؤلاء ومؤازرته في مواجهتهم، وكانت أول مواجهة بين الشيخ وبعض إخوانه ومجموعة من (الأحباش) في مسجد أبي سمراء، حيث حصلت مشاجرة وتم إفشال درس للأحباش كان يلقيه شيخهم الحالي حسام قراقيره.

بعد نجاح ثورة الخميني المشؤومة بدأ الاختراق الأخطر لمدينة طرابلس عبر المد الشيعي، حيث فتن الكثير من المشايخ قبل عامة الناس بالخميني، حتى أني أذكر شخصياً أن الشيخ فيصل مولوي والذي تولى منصب الأمين العام للجماعة الإسلامية في لبنان لاحقاً التقى بالخميني بعد الثورة مباشرة، ثم رجع إلى طرابلس وألقى محاضرة في بهو المسجد المنصوري الكبير حيث حاول إقناع الحاضرين بأن الخميني ليس متعصباً لشيعيته، ومن دلائل ذلك أنه أعاد خطبة الجمعة إلى مساجد إيران، ونحو ذلك من التبريرات السخيفة التي تنم عن جهل بحقيقة منهج هؤلاء، والذي سطره الخميني نفسه في عدد من كتبه ومنها كتابه (الحكومة الإسلامية)، لكن يبدو أن هؤلاء لا يقرأون، وتخدعهم الشعارات، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وهنا رأى الشيخ أن المسؤولية عظمت، وتحتاج القضية إلى جهد مضاعف لمواجهة هذا الخطر الكبير، إضافة إلى الأخطار الأخرى السابقة.

كان الشيخ يرى أنه لا يمكن مواجهة التحديات بالعمل الفردي أو بمجرد الدروس والخطب، بل لا بد أيضاً من إنشاء حركة سنية تتبنى المنهج السلفي، وتأخذ بأسباب القوة المادية، وتتلافى الأخطاء التي وقعت فيها بعض الجماعات؛ لتنهض من جديد بالمسلمين، وكان يدرك صعوبة تحقيق ذلك!

كان الشيخ يرى أنه لا يمكن مواجهة هذه التحديات بالعمل الفردي أو بمجرد الدروس والخطب، بل لا بد أيضاً من إنشاء حركة سنية تتبنى المنهج السلفي، وتأخذ بأسباب القوة المادية، وتتلافى الأخطاء التي وقعت فيها بعض الجماعات؛ لتنهض من جديد بالمسلمين، وكان يدرك صعوبة تحقيق ذلك أيضاً؛ بسبب سيطرة نظام (حافظ الأسد) على لبنان ومحاربته للعمل الإسلامي بكل أشكاله، فأنشأ سراً

ما عرف بنواة (الجيش الإسلامي)، حيث ضمت عدداً من الشباب المؤمن الذي كان يحرص الشيخ على تعبئتهم عقدياً وإيمانياً؛ ليشاركوا في أعباء نشر العقيدة الصحيحة والمنهج السلفي والعمل على إيجاد قوة مادية لأهل السنة، على غرار ما تقوم به باقي الطوائف؛ تحسباً لأي مواجهة قد يتعرض لها أهل السنة في لبنان على المدى الطويل.

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتمتع منذ شبابه بشخصية قيادية وقدرة عجيبة على تحمل المشاق في سبيل تحقيق أهدافه، كما كان يحمل تصوراً ورؤية واضحة لما يجب أن يكون عليه العمل الإسلامي، طبعاً من وجهة نظره التي قد يخالفه فيها آخرون، لكنه كان لا يتردد في طرحها ونشرها بين الشباب، وكان يتمتع بأسلوب قوي في الإقناع والتأثير على الشباب مما أوغر عليه صدور بعض الحاسدين، وكان يرى أن أهل السنة في لبنان لا يمكن أن ينهضوا بمفردهم، بل لا بد من دعم إخوانهم لهم وللعاملين.

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسعى لحشد الدعم الخارجي لأهل السنة في لبنان لاسيما في الخليج العربي، ولذلك لما التحق بالجامعة الإسلامية عام ١٩٨٠م مع أخيه راضي الإسلام كان يرى ذلك فرصة مناسبة لشرح حال أهل السنة في لبنان،

والمخاطر التي يتعرضون لها، بل كان يستشعر خطر المد الشيعي على المنطقة العربية بأكملها، وكأنه يتوقع ما آل إليه الأمر لاحقاً من سيطرة مليشيات إيران على لبنان وعدد من البلاد العربية، فكان يزور المشايخ والعلماء الكبار ولا سيما الشيخ ابن باز وابن عثيمين، فيشرح لهم الوضع وخطورة المد الشيعي والخطر الحبشي، ويطرح رؤيته لمواجهة ذلك من خلال دعم أهل السنة مادياً ومعنوياً.

كان الشيخ يحمل هم الأمة، ويكثر التأوه على أوضاعها وكان يرى أن لعلمائها دوراً كبيراً لا بد أن يقوموا به

حتى تنهض وتواجه الأخطار المحدقة بها وتعود لسالف عهدها ومجدها، ويرى أن العلماء مقصرون جداً في هذا الواجب؛ ولهذا لا يكاد يلتقي بأحدهم حتى يتحدث عن واجب العلماء نحو الأمة، ويحث ويحرض على مزيد من العمل والحركة، ولكن هيهات هيهات بين من يعيش هم الأمة ويحمل أعباء الدفاع عن هذا الدين بنفسه وماله وجهده ووقته، ومن ترسخ في نفوسهم من المشايخ أن أقصى ما يسعون إليه منصب حكومي أو وظيفة مدرس في جامعة أو معهد شرعي أو مدرسة، ولا شيء آخر.

كان الشيخ يحمل هم الأمة، ويكثر التأوه على أوضاعها وكان يرى أن لعلمائها دوراً كبيراً لا بد أن يقوموا به حتى تنهض وتواجه الأخطار المحدقة بها وتعود لسالف عهدها ومجدها، ويرى أن العلماء مقصرون جداً في هذا الواجب؛ ولهذا لا يكاد يلتقي بأحدهم حتى يتحدث عن واجب العلماء نحو الأمة، ويحث ويحرض على مزيد من العمل والحركة،...

مواقف مشهودة للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بعد احتلال الصهاينة لبيروت ثم خروجهم منها مندحرين عام ١٩٨٢م قامت مليشيات حركة أمل الشيعية بالتحالف مع مليشيات وليد جنبلاط الدرزية باجتياح بيروت الغربية ذات الأغلبية السنية، مما أحدث صدمة لأهل السنة في لبنان وتسبب بذعر لأهل بيروت، مما دفع مفتي لبنان حسن خالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى التنديد بذلك، إلا أن الشيخ داعي الإسلام أصدر للمرة الأولى وبشكل علني بياناً باسم نواة الجيش الإسلامي كشف فيه عن الوجه الحقيقي العقدي المذهبي للصراع مع أهل السنة، وتحدث عن موقف الشيعة من قضايا عقدية مهمة، وتناقلت الصحف اللبنانية البيان على صفحاتها الأولى، وأدى إلى تخوف شيعي من أن تتحول المعركة إلى صراع مذهبي علني، وهذا ليس في صالحهم؛ مما دفع الأمين العام لحزب الله عباس موسوي شخصياً مع مساعده لزيارة الشيخ داعي الإسلام في منزل والده الأمير سالم الشهال، وحضور الشيخ سعيد شعبان الذي كان يترأس حركة التوحيد الإسلامي السنية المؤيدة لنظام الملالي في إيران، وفي اللقاء كان كلام الموسوي يدور حول ضرورة التهدئة ونبذ الفتنة الطائفية، وأنه لا مشكلة بين المذهبين وأنه يجب توحيد الجهود

لمواجهة العدو الصهيوني على عادتهم في التقية ومخادعة الآخرين، لكن الشيخ راضي أخو الشيخ داعي كما أخبرني هو شخصياً ذكر له أقوال الخميني في الصحابة وتفضيل الأئمة على الأنبياء والرسل وأشياء من هذا القبيل حيث لم يحر عباس موسوي جواباً، وكانت هذه الحادثة هي اللحظة التي لمع فيها نجم الشيخ داعي الإسلام على مستوى لبنان، ولا سيما عند أهل السنة المقهورين من هذا العدوان الباطني الرافضي المشترك.

لم يرق للنظام اللبناني الذي كان تحت وصاية النظام السوري تحركات الشيخ والتفاف أعداد من الشباب حوله وانتشار دعوته في عدد من المناطق اللبنانية، ولذلك حاولوا استغلال أي حدث أمني ينسب للإسلاميين ليسارعوا للتضييق على الشيخ ومحاصرة دعوته والحد من حركته، حتى لو لم يكن للشيخ أي ارتباط بتلك الأحداث أو المتسببين بها، فعندما أقدم ثلاثة من الشباب على اغتيال رئيس فرقة الأحباش نزار الحبشي في بيروت بادرت السلطات اللبنانية إلى إغلاق جمعية الهداية التابعة للشيخ، مع أنهم لم يوجهوا له أي اتهام أو ارتباط يتعلق بقضية الاغتيال لا من قريب ولا من بعيد سوى الكيد والمكر الكبار الذي يحيكونه لأولياء الله تعالى ولصد الناس عن سبيله.

وعندما حصل صدام عسكري بين مجموعة مسلحة إسلامية وبين الجيش اللبناني في منطقة الضنية شمال لبنان وجدت السلطات اللبنانية فرصتها السانحة لاتهام الشيخ وربطه بتلك

المجموعة، فصدر عام ٢٠٠٠م حكم غيابي بإعدام الشيخ داعي الإسلام مع أنهم لم يحاولوا القبض عليه لتنفيذ هذا الحكم الجائر؛ مما يؤكد أنَ المقصود هو إرهاب الشيخ نفسياً ليوقف دعوته ويمتنع عن أي نشاطات أو تصريحات تدافع عن حقوق أهل السنة في لبنان، أو ربما يريدون دفعه للخروج من البلد وابتعاده عن جمهوره ومحبيه، إلا أنّ مشيئة الله تعالى فوق مشيئة البشر، فبعد اغتيال رئيس وزراء لبنان رفيق الحريري عام ٢٠٠٥م وخروج جيش بشار الأسد من لبنان توافقت القوى السياسية المختلفة على إصدار عفو عام يشمل المحكومين بقضايا معينة من جميع الطوائف؛ فسقط حكم الإعدام عن الشيخ، وعاد مرة أخرى لمزاولة نشاطاته الدعوية وفتح معاهده المغلقة.

بعد قيام الثورة السورية عام ٢٠١١م عمدت السلطات الأمنية إلى إلقاء القبض على ولدين للشيخ بحجة مشاركتهم في دعم هذه الثورة، وحاولت ابتزاز الشيخ وإخضاعه للإملاءات، فاتصل به مسؤول أمني محاولاً دعوته للتفاهم، وبالرغم من تأثر الشيخ وحزنه على أبنائه إلا أنه كعادته عض على جرحه وقال له: ليس لي يد توجعني حتى تمسكوني بها؛ فكان أن بقي أحدهما في السجن ثلاث سنوات.

وأخبرني الشيخ شخصياً أن مسؤولاً أمنيًا للنظام السوري بعد إغلاقهم لجمعياته ومراكزه ووقف نشاطاته عرض عليه التصالح معه والسماح له بفتح معاهده الشرعية والعودة إلى مزاولة نشاطاته، فاشترط الشيخ عليه أن لا يتدخلوا في خصوصية دعوته فرفضوا طبعًا.

وكلمة للتاريخ: إن الشيخ داعي الإسلام من الدعاة العاملين القلائل الذي عاش كل حياته ورغم كل ما تعرض له من ضغوط فإنه، لم يرتمِ في أحضان أي نظام يعادي الإسلام.

نهاية المطاف:

بعد رفع الحظر عن الشيخ عام ٢٠٠٥م عاد إلى نشاطه بقوة، ووسع من أنشطته إلى كل مناطق السنة في الشمال والجنوب، وحاول إنشاء قناة فضائية إلا أن المشروع فشل بسبب عدم حصوله على الدعم الكافي من أي مؤسسات إسلامية. ولما اندلعت الثورة السورية جاهر الشيخ بتأييده لها ودعا الدول والشعوب لمناصرتها، فلم يرق ذلك لحلف إيران في لبنان والقوة المناصرة لها فطفقوا يكيدون له، فما إن خرج عام ٢٠١٤م لأداء العمرة حتى أصدرت السلطات اللبنانية أمراً بالقبض عليه بحجة أنها عثرت على بعض قطع السلاح الخفيفة عند بعض الشباب المقربين منه، ومن الواضح أنهم

فعلوا ذلك رجاء امتناعه عن العودة إلى لبنان فبقي الشيخ في بعض البلاد الخليجية مدة من الزمن ثم بعد بعض التغييرات في السعودية رحل إلى تركيا، وبقي بعيداً عن عائلته وأولاده فبقي في تركيا وعرضت عليه عدة جهات لبنانية صفقات مقابل العودة إلى لبنان وإسقاط التهم الموجهة إليه، إلا أن الشيخ رفض تلك العروض المبنية على الظلم وانتهاك حقوق أهل السنة في لبنان، فالدولة التي تريد محاكمته لعثورها على بعض قطع السلاح الخفيفة هي التي تتغاضى عن حزب إيران في لبنان، والذي يمتلك باعترافه أكثر من ١٠٠ ألف صاروخ، كما أن مليشياته المسلحة تستبيح كل القوانين اللبنانية، ومليشياتها المدججة بالسلاح تدخل وتخرج إلى سورية لمناصرة النظام تحت مرأى ومسمع السلطات اللبنانية.

كلمة للتاريخ: إن الشيخ داعي الإسلام من الدعاة العاملين القلائل الذي عاش كل حياته ورغم كل ما تعرض له من ضغوط فإنه، لم يرتمِ في أحضان أي نظام يعادي الإسلام.

وفاة الشيخ:

في يوم الأحد الخامس عشر من نوفمبر ٢٠٢٠م فجع محبو الشيخ وعائلته بنبأ وفاته إثر إصابته بوباء كورونا، حيث صلى عليه ودفن في إحدى مقابر إسطنبول كما صلى عليه صلاة الغائب جمع غفير يتقدمهم عدد من المشايخ والعلماء من دار الفتوى وهيئة علماء المسلمين في لبنان، وذلك في المسجد المنصوري الكبير في طرابلس، وعزت فيه عدد من الهيئات العلمائية على مستوى العالم الإسلامي، كـ(رابطة علماء المسلمين)؛ حيث كان الشيخ عضواً فيها، كما عزت فيه (هيئة علماء فلسطين في لبنان) و(الهيئة الإعلامية لوزارة الأوقاف العراقية)، وهذا إن شاء الله من المبشرات على حسن خاتمة الشيخ. نسأل الله تعالى أن يرفع منزلته ويلحقه بالصالحين.

وخلاصة القول أن الشيخ داعي الإسلام عاش حياته في سبيل نصرة دينه، والدفاع عن حقوق أمته، ووقف مواقف تراجع عنها الآخرون، وتعرض لمخاطر جمة، فما قصرت له أجلاً ولا نقصت من رزقه شيئاً، وعاش شامخاً بعقيدته ودينه، ولم يحن رأسه للطغاة والمستبدين، فلا نامت أعين الجبناء.

سياسات النشر في المجلة:

تُقبل المقالات في المجلة بعد العرض على هيئة التحرير إذا استوفت الشروط التالية:

(١) ألا يكون البحث أو المقال قد سبق نشره، أو قُدّم لأية جهة أخرى من أجل النشر.

(٢) أن تكون البحوث والمقالات متسمة بالعمق والأصالة وحسن الأسلوب ووضوحه، والسلامة من الأخطاء اللغوية والنحوية، وأن يضيف نشرها جديداً إلى المعرفة.

(٣) أن تكون البحوث والمقالات موثقة من الناحية العلمية بالمراجع والمصادر والوثائق، وتوضع الهوامش في أسفل كل صفحة.

(٤) لا تدفع المجلة مكافآت ولا تتقاضى أية مبالغ مقابل البحوث أو المقالات المنشورة أو أي أعمال فكرية ما لم تكن بتكليف.

(٥) أن لا يتجاوز البحث أو المقال سبع صفحات (١٠٠٠) كلمة، ولا يقل عن ثلاث صفحات (٤٥٠) كلمة (بمقاس ورقة A4).

bayyinatre@gmail.com